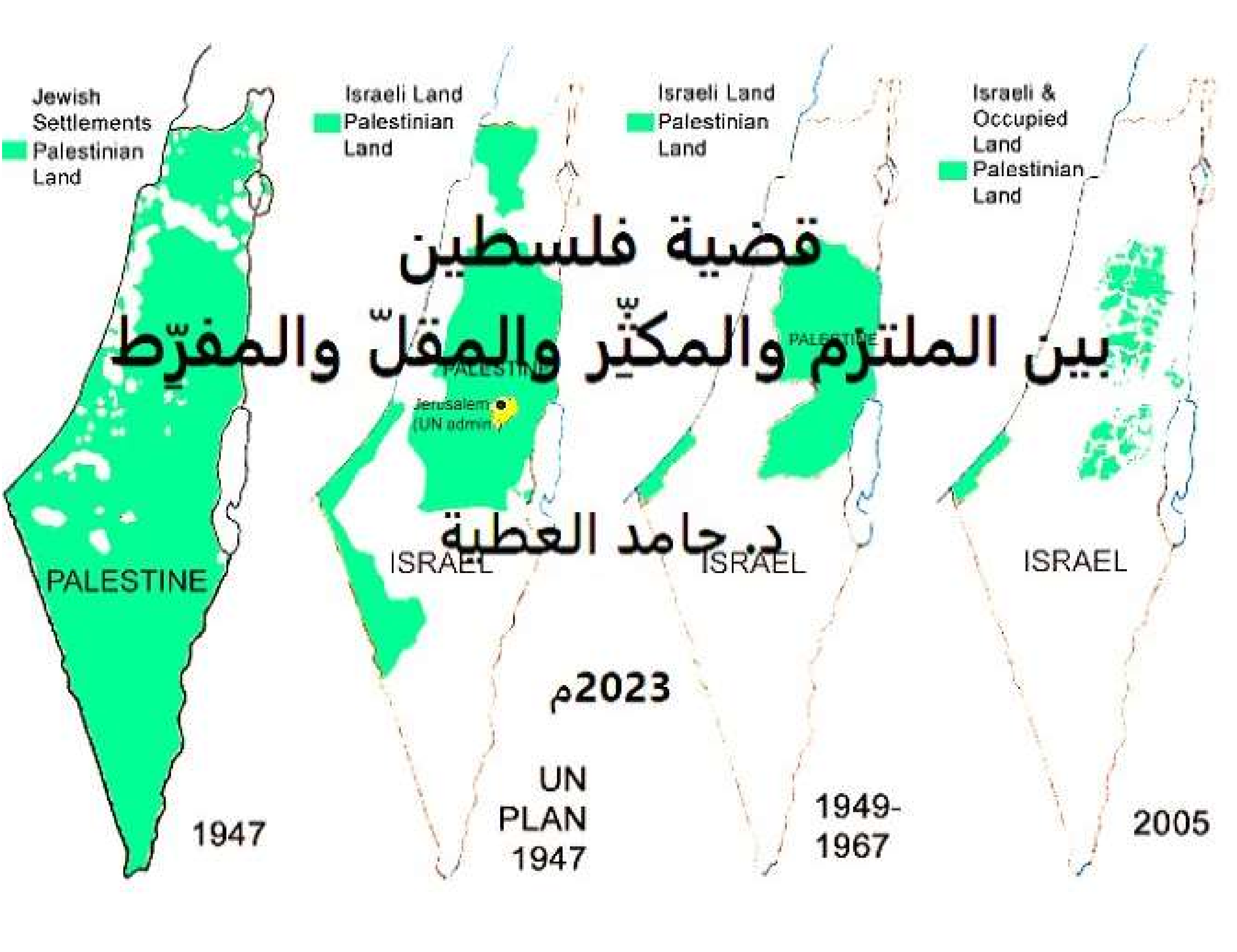

قضية فلسطين
بين الملتزم والمكثّر والمقلّ والمفرّط
د. حامد العطية
2023م
Jewish Settlements
Palestinian Land
PALESTINE
1947
Israeli Land
Palestinian Land
PALESTINE
Jerusalem (UN admin.)
ISRAEL
UN PLAN 1947
Israeli Land
Palestinian Land
ISRAEL
1949-1967
Israeli & Occupied Land
Palestinian Land
ISRAEL
2005

قضية فلسطين
بين الملتزم والمكثِّر والمقلّ والمفرِّط

د. حامد العطية

2023م

الفهرس

مقدمة

(وجاءوا إلى أورشليم ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، ولم يدع أحد يجتاز الهيكل بمتاع، وكان يُعلم قائلا لهم أليس مكتوبا بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) [إنجيل مرقس: 11: 15-17]

في القرن العشرين تفتحت آفاق معرفة البشر، وبلغت ذرى شاهقة، وفي الوقت نفسه حطت بهم أطماعهم وأهوائهم الدنيوية إلى أدراك همجية مظلمة، فكانت الحربان العالميتان بين دول الغرب الاستعمارية المتنافسة على السيطرة والموارد وحروب التحرير المفروضة على الشعوب المستعمرة وحروب وفتن الطغاة ودول الاستكبار والهيمنة، وفشلت كل النظم العقائدية والفكرية في كبح هذه النزعة الشريرة، وما بدأه شر البرية في التاريخ المعاصر استمر حتى يومنا الحاضر، وأفجعها قضية فلسطين، إذ لم تشهد البشرية مثلها منذ احتلال الجنس الأبيض الأوروبي للقارتين الأمريكيتين وأستراليا ونيوزيلندا والإبادة شبه الكاملة لسكانهم الأصليين والقضاء على كل مقومات بقائهم العقائدية والتراثية والاجتماعية والاقتصادية، فبحلول القرن العشرين بسط المستوطنون البيض هيمنتهم بالكامل على أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا وأجزاء كبيرة من أفريقيا، وأخضعوا سكانها الأصليين بالكامل، وجردوهم من ممتلكاتهم وحقوقهم الأساسية، وأدان توينبي (1947) الغربيين الذين اعتبروا السكان الأصليين في هذه المناطق بأشباه الحيوانات البرية

التي ينبغي ترويضها وتدجينها أو إبادتها[1]، وعلق الفيلسوف الفرنسي ميشيليه Michelet في القرن التاسع عشر على المصير المفجع للسكان الأصليين لأمريكا الشمالية بأن "الأنجلو أمريكيين الجهلة من التجار وأتباع المذهب التطهيري انتهوا من تجويع وإبادة أولئك الأقوام الأبطال الذين تركوا فراغاً على الكرة الأرضية وشعوراً بالأسى في البشرية جمعاء[2]."

جاهر ونستون تشرشل الزعيم البريطاني الذي يعتبره الكثيرون من مواطنيه أعظم بريطاني في التاريخ بعقيدته العنصرية وحقده اللامتناهي على العرب والفلسطينيين، فعندما ثارت القبائل العراقية على الاحتلال البريطاني في 1920م لم يجد غضاضة في الدعوة لاستعمال أسلحة كيماوية لقمعهم واصفاً العراقيين بالقبائل غير المتحضرة، ونقل عنه قوله بأن "العرب قبائل أو جماعات بربرية أغلب طعامها بعر الجمال"[3]، فليس مستغرباً حماسه الشديد لتوطين اليهود في فلسطين وازدراءه لسكانها الأصليين.

في الوقت الذي يدعي أحفاد هؤلاء المستوطنين القتلة حرصهم على إنصاف الناجين القلّة من شعوب تلك القارات ومنحهم بعض حقوقهم يعملون جاهدين على إدامة وتعميق مأساة مماثلة في فلسطين، غير ابهين للظلم الفادح الواقع على شعبها، وتناقض قراراتهم وسلوكهم الصارخ مع ما يتظاهرون به من نصرة قيم حقوق

---

[1] Arnold Toynbee, 1948. **A Study of History**. New York: Oxford University Press, p. 152.

[2] Jules Michelet, 1846. **The People**. New York: D. Appleton and Company, p. 142.

[3] Michael J. Cohen, 2014. **Britain Moment in Palestine: Retrospect and Perspectives, 1917-48**. London: Routledge, p. 311.

الإنسان والحرية والديمقراطية والعلمانية في العالم، فهي الشاهد على دجلهم ونفاقهم والإدانة الحية على عنصريتهم واعتبار مصالحهم غاية عظمى ولو على حساب بقاء وحقوق الشعوب الأخرى.

انتهى عصر الاستعمار أو بالأحرى الاحتلال الأوروبي والأمريكي باستثناء احتلال واستيطان فلسطين، ولم يكن يوجد ويستمر من دون مختلف أشكال الدعم من قبل دول الاستعمار القديم، لذا يمكن اعتباره استمراراً للاستعمار القديم، وكأن حكومات تلك الدول التي واحدة منها وهي بلجيكا التي لا زالت تزيّن احدى ساحاتها بتمثال الملك ليوبولد الثاني الذي أفنى في عهده عشرة ملايين مواطن أفريقي من الكونغو تحن إلى عهد الاستعمار فأبقت منه تذكاراً بمساعدتها الصهاينة على احتلال واستيطان فلسطين.

في الفصل الأول طرح لأهمية القضية، يتجاوز المأثور القومي والوطني والعقائدي حولها إلى نظرة أكثر شمولية ودقة وخطورة، لأنها قضية إنسانية وحقوقية، فالدعوة إلى السلام والتعاون بين البشر المبنية على العدالة والمساواة مناقضة تماماً لاحتلال وطن شعب آخر واستلابه حقوقه وتشريده، كما أن الدفاع عن حقوق الشعوب ونصرة الحريات يفرض تمكين الشعب الفلسطيني من الحصول على حقوقه وحرياته، وهنا تكمن قضية فلسطين على الصعيد البشري العالمي، ولكن الاتجاه السائد اليوم حتى بين العرب إهمالها وإدراجها طي النسيان لذا فلا مناص من العودة في النقاش حولها إلى نقطة البداية، وإن بدا ذلك للمخلصين لها سفسطة فليتحملوا ثقل الفرضية المطروحة في الفصل الأول من هذا الكتاب، أي هل توجد لفلسطين والفلسطينيين قضية أم لا؟ والجواب سيكون بالاحتكام إلى شريعة تقبلتها البشرية برضا كامل أو على مضض

بالنسبة للبعض وهي المتضمنة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومن خلال عرض الفرضية على مواد الإعلان يمكن التوصل إلى إثبات صحتها أو نفيها.

أين موقع القضية من عقول ومشاعر العرب والمسلمين؟ كانوا يسمونها القضية المركزية، ولم نعد نسمع هذا الوصف في نشرات الأخبار أو نقرأه في الصحف، فهل لم تعد قضيتنا المركزية؟ والظاهر أن أهميتها تراجعت لدى الحكومات وحتى الشعوب، وتقدمت عليها قضايا أخرى، أو أننا يأسنا من هزيمة العدو المحتلّ واسترجاع الأرض فانصرفنا إلى شؤون أخرى، مثل ذلك الثعلب الذي لم ينوش عنقود العنب فاقنع نفسه بأنه حامض، فهل حمّضت قضية فلسطين لدى العرب والمسلمين، وحان وقت طرحها جانباً والتخلي عنها؟ وفي الفصل الثاني إجابات على هذه التساؤلات المصيرية بالنسبة لمستقبل العرب والمسلمين.

زاد تعداد المسلمين على المليار، والملتزمون منهم كثر، على الرغم من الهجمات الثقافية والتبشيرية المضادة وعوامل الضعف الداخلي المثبّطة، ولا زال الإسلام العنصر الأساسي والأول في هويات المسلمين الملتزمين، وهم يقبلون على تأدية شعائر دينهم بهمة ونشاط، ويصرفون في سبيله الكثير من جهدهم ومالهم ووقتهم، لكن كل تلك الموارد لم تحرر شبراً واحداً من الأرض المغتصبة، ولم ترجع لاجئاً واحداً إلى وطنه السّليب وبيته المحتلّ وحقله المنهوب، فلم لا يخرج مئات الملايين ليطالبوا حكوماتهم وقادتهم السياسيين والدينيين بجعل القضية على رأس اهتماماتهم بل حتى إدراجها في دساتيرهم رغم أنوف رعاة وأنصار الكيان الصهيوني مهما بلغوا قوة وعدداً؟ والمؤكد أننا مقصرون، فهل تجيز تعاليم ديننا هذا التهاون الفادح؟ وهل وجد الفقهاء ثغرة فيها أو أولوا

نصاً ليبرروا اكتفاء البعض منها بالدعاء للمظلومين ولعن الظالمين؟ الأدهى من ذلك أن الأقربين للقضية وهم بعض الفلسطينيين والعرب تخلوا عنها أو هم على وشك فعل ذلك، فمنهم من وقع سلاماً أو بالأحرى استسلاماً مع المعتدي الغاصب وآخرون اعترفوا بشرعية الاحتلال وتمادوا إلى حد التحالف معه بذرائع لا أساس لها في الواقع.

تقود هذه التساؤلات إلى تحري مفهوم الإيمان، وإن كان إيماننا يفرض علينا موقفاً محدداً من القضية، وهل توجد علاقة طردية بين هذا الموقف ودرجة الإيمان، فالإيمان عند أغلب الفرق الإسلامية يزيد وينقص، فهل ينقص هذا الإيمان لو أهملنا القضية؟ وسيتبين في الفصل الثالث بأن الإجابة على هذه التساؤلات لا يتطلب بحثاً طويلاً ومعمقاً في النصوص المقدسة، بل يكفي الاستشهاد ببعضها للاستدلال على مدى ارتباط القضية بمستوى أو درجة إيمان الفرد والجماعة والدولة. الإسلام دين شامل، وجوهر الرسالة واضح في تحديد الأغراض الكبرى للخلق ومنهج الحياة والإصلاح والتطور، ويبين المنهج طريقة التعامل مع هذه القضية الكبرى، فيتحقق هدفها ونحفظ إيماننا بأعلى الدرجات في نفس الوقت.

الفصل الأول
هل لفلسطين والفلسطينيين قضية؟

الأمم المتحدة منظمة عالمية تعترف بها كافة الدول الأعضاء فيها والموقعة على ميثاقها، وتضم هذه المنظمة العالمية مؤسسة تدعى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى، مهمتها الرسمية "تقديم المساعدة والحماية والمناصرة للاجئين الفلسطينيين"، وتوفر خدماتها لحوالي ستة ملايين لاجئ، ويمثل هؤلاء أقل من نصف العدد الكلي للفلسطينيين المقدر بأكثر من أربعة عشر مليوناً بنهاية 2022م. تدلّ هذه الحقائق الموثقة عالمياً على وجود شعب فلسطينيّ، شرّد من أرضه وأصبح الملايين منه لاجئين، ولا يوجد شعب من دون أرض، وفلسطين هي أرض الفلسطينيين أصحاب الحق فيها، وبالرغم من جليّة هذه الحقيقة لكن الغالبية العظمى من حكومات العالم تدير ظهرها لها، وتطمسها بفعل ضغوط وتهديدات الدول التي صنعت هذه المأساة الإنسانية الكبيرة واعتبارات المصلحة البراغماتية.

بدأت القضية الفلسطينيّة عقب تنفيذ المنظمة الصهيونية لمخططها الاستيطاني في فلسطين، واستحصالها على وعد من الاحتلال البريطاني بتمكينها من احتلال بلاد الفلسطينيين وإزاحتهم من أرضهم، ليتسنى لمن يرغب من يهود دول أوروبا وغيرهم الحلول محلهم.

كما هو معروف الاحتلال والمسمى خطأً بالاستعمار نوعان: استغلالي مؤقت واستيطاني دائم، والثاني هو الأسوأ بدون جدال، فالأول ينتهي بعد زمن يطول أو يقصر، وينطوي على إخضاع

واضطهاد سكان البلاد المحتلّة وحرمانهم من حقوقهم واستغلال ونهب مواردهم، أما الاستيطاني فيهدف إلى إسكان أعداد من الغرباء في أراضي الشعب المحتلّ وإحلالهم في أراضي السكان الأصليين والاستيلاء على ثرواتهم لصالح المستوطنين ولو تطلب ذلك تهجير وتشريد السكان الأصليين وقتل أعداد كبيرة منهم كما حدث بالفعل في الأمريكيتين وأستراليا ونيوزيلندا وأفريقيا الجنوبية والجزائر، وحتى وقت قريب سعت الحكومة الكندية إلى ما يمكن تسميته بالإبادة الثقافية لما تبقى من السكان الأصليين إذ قسرتهم على وضع أبناءهم في مدارس خاصة تمولها الحكومة وتديرها الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية بهدف طمس هويتهم الثقافية من خلال إجبارهم على اعتناق الديانة المسيحية ومنعهم من التحدث بلغاتهم الأصلية أو ارتداء ملابسهم التقليدية وشهدت هذه "المدارس" جرائم قتل واعتداء واغتصاب وتعذيب، ومؤخراً فقط اعترفت الحكومة الكندية والكنيسة الكاثوليكية بجرائمهما بحق السكان الأصليين، ومن المعروف بأن الحكومة الكندية من أشد المناصرين للكيان الصهيوني والمعادين للشعب الفلسطيني.

حقوق الإنسان وقضية فلسطين

منذ تكون التجمعات البشرية الأولى ظهرت الحاجة إلى أعراف وشرائع لتنظيم حقوق وواجبات السكان، لكنها انحازت للأقوياء وأباحت استغلال واضطهاد الطبقات والفئات الأضعف، والتطور في الاعتراف بحقوق للبشر على حد سواء وتنظيمها كان بطيئاً، ومرّ بمراحل ساد فيها الظلم وانتهاك الحقوق بين الأمم وداخل

المجتمعات، حتى بلغ هذه المرحلة المتقدمة في شبه إجماع بين الأمم ومعظم البشر على حقوق الإنسان، لكن الالتزام بها في الكثير من الحالات كان ضعيفاً أو حتى مفقوداً، إذ لا تزال هنالك حاجة لهذا العدد غير القليل من مؤسسات ولجان حقوق الإنسان، التي تعدّ تقارير فصلية وسنوية موثقة انتهاك حقوق الإنسان في الكثير من دول العالم بضمنها تلك الدول الغربية المدّعية الدفاع عن حقوق الإنسان.

كانت شريعة الملك البابلي حمورابي التي ادعى بأنها تنزلت عليه من ربه أول تشريع مقنن لتنظيم علاقات وحقوق الأفراد، وبعد قرون من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والصراع أُقر مبدأ المساواة في الحقوق للجميع، لكن ما ضمنته التشريعات أخلّ به سلوك البشر المحكوم بالتحيز والأهواء.

يمكن الاستدلال على أهمية حقوق الإنسان من الاهتمام الواسع بها في المجتمعات البشرية، وسواء كان هذا الاهتمام صادقاً أم ظاهرياً فقد غدت هذه الحقوق حاجة أساسية لدى الجميع تأتي في أهميتها على سلم الحاجات بعد الضروريات الحياتية من طعام وسكن وأمن، ولهذه الحقوق تاريخ يبدأ في القدم، اعتنى مؤرخوه بتتبع جذوره وتطوره، ولا يدخل ضمن مواضيع هذا الكتاب، لكن من المفيد القاء نظرة سريعة على أبرز مفاصل هذا التطور انتهاءً بقضية فلسطين.

كان للمفكرين والفلاسفة كما للحكام والعقائد إسهامات كبيرة في تبيان وتطور حقوق الإنسان، فعلى سبيل المثال، ربط الفيلسوف اليوناني زينو مؤسس الفلسفة الرواقية بين القوانين الطبيعية والحقوق، فجادل بأن ذلك يستدعي استحقاق البشر لحقوق طبيعية، وهي بوصفه غير زائلة، وتقضي بتشريع القوانين لحمايتها من

الإجحاف. وفي أوروبا القرون الوسطى تميز الملك الإسباني ألفونسو التاسع (1171-1230)م بتشريعاته السّباقة لبعض حقوق الإنسان الأساسية التي شملت الحق غير القابل للنقض في الحياة والشرف والمسكن والتملك والمحكمة العادلة.

سبق الإسلام الملك ألفونسو بحوالي خمسة قرون في وضع أشمل القواعد لحقوق الإنسان، وفرضها على أتباعه في التعامل فيما بينهم ومع غير المسلمين، ومن أهمها الحق المطلق في الحياة باعتبارها هبة ربانية فلا يجوز انتهاكها إلا في حالات نص عليها الشرع، وأكد على حفظ الأعراض من الاعتداء وعلى حرمة الملكية الفردية، واعترف بحرية الإنسان في العقيدة والفكر والسلوك ضمن ضوابط الشرع، فلا إكراه في الدين، كما أقرّ مبدأ المساواة أو السواسية بين البشر، وشبههم بأسنان المشط، وفي قول لرسول الإسلام:

(يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.)

وشرع حقوقاً ثابتة للمرأة وكبار السن والمعاقين والطفل، ولكل واحد الحق في التقاضي أمام محكمة تنظر في شكواه بتجرد وتحكم بالعدل، كما أمر بالرفق بالحيوان، وتوعد منتهكي هذه الحقوق بالجزاء في الدنيا والآخرة، وكان يمكن لهذه الحقوق وما يترتب عليها أن تكون دستوراً للحقوق لدى المسلمين والعالم أجمع.

على الصعيد الفكري في أوروبا جادل الفيلسوف جون لوك (1632-1704)م بأن البشر في مرحلة العيش على الطبيعة وقبل نشوء المجتمعات كانوا أحراراً ومتساويين، ومقابل تخليهم عن حريتهم للنظم السياسية الحاكمة عند انتمائهم إلى مجتمعات وفق ما أسماه

بالعقد الاجتماعي استحقوا مقابل ذلك حقوقاً أساسية هي الحق في الحياة والحرية والملكية.

أنتجت الثورة الفرنسية تغيراً جذرياً في النظرة إلى حقوق الإنسان، وقد أقرّ إعلان حقوق الإنسان الصادر عن الجمعية التأسيسية الوطنية في 1789م حقوقاً ثابتة لجميع البشر، أهمها الحق في الحرية والأمان والتملك والمعاملة بالتساوي ومقاومة الظلم، وعلى الرغم من أن الإعلان شمل البشرية جمعاء إلا أن الحكومات الاستعمارية الفرنسية المتعاقبة والأوروبية بصورة عامة وأنصارها خرقوا هذا المبدأ باحتلالهم معظم دول أسيا وأفريقيا واضطهادهم شعوبها وحرمانهم من أبسط حقوقهم ونهب ممتلكاتهم، وحتى اليوم لم تتخلص هذه الدول وشعوبها من النتائج الكارثية للحقبة الاستعمارية، كما أن تنكر الدول الاستعمارية لتاريخها المظلم دليل على تمييزها في الحقوق بين البشر وعنصريتها واستعلائها.

رأى الفيلسوف والمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي بأن الدول الأوروبية استمدت شرعية احتلالها لبلدان أخرى من اعتقاد الإسرائيليين التوراتي بأن ربهم أمرهم بإبادة الكنعانيين، فأقدمت بريطانيا على احتلال أمريكا الشمالية وأيرلندا، واحتلت هولندا جنوب أفريقيا، وأخضعت بروسيا بولندا كما احتل، الصهاينة فلسطين، ومن دون أي اعتبار من قبل المحتلّين الأوروبيين للسكان الأصليين[4].

صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في العاشر من كانون الأول عام 1948م، وبغالبية أعضائها عدا الدول الشيوعية وجنوب أفريقيا وحكومة آل سعود، وعبرت الوثيقة عن الحد الأدنى من توافق الموقعين عليها حول

[4] Arnold Toynbee,1954. **A Study of History**. London: Oxford University Press, pp. 211-212.

حقوق البشر، ولم تلزم الموقعين عليها بتطبيقها، وعند إبرامها كانت الدول الأوروبية الاستعمارية التي رأت في الوثيقة تعبيراً عن مبادئها وقيمها تحتل دولاً، وتضطهد شعوبها، وتحرمهم من أبسط حقوقهم، وحتى اليوم ومنذ ذلك الحين لم تتوقف انتهاكاتها الصارخة لبنودها تحقيقاً لمصالحها الاقتصادية والسياسية، وتبرر عدوانها على الشعوب أحياناً بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان.

يدرك المنصفون بأن قضية فلسطين عادلة، ويوقنون بأن المجازر التي راح ضحيتها مئات الآلاف من سكانها، والاستيلاء على أراضيهم ومزارعهم ومصالحهم، وطرد غالبيتهم من مساكنهم وتشريدهم وهدم مدنهم وقراهم وإنشاء المغتصبات الاستيطانية على أراضيهم واضطهاد المتبقين منهم خروقات جسيمة لحقوق الإنسان ندر مثيلها في تاريخ البشرية، ولم يكن لهذا الظلم الفادح أن يقع ومن دون محاسبة لولا المساعدة السّخية من أبرز الموقعين على الإعلان العالمي والتي تبلغ مستوى المشاركة الفعلية المباشرة وغير المباشرة ومحاولاتهم المستمرة لطمسها وصرف انتباه العالم عنها، وهي الدليل الدامغ على دجل ونفاق هذه الدول.

إذا كانت دول الغرب المستكبرة وأتباعها من دول العالم الثالث قد ساندت الصهاينة على اغتصاب فلسطين، وطرد سكانها العرب بالقوة والإرهاب، وساعدتها على احتلال المزيد من أراضي الفلسطينيين وإخضاع المتبقين منهم لحكم عسكري همجي، وتغاضت عن الجرائم المنكرة للصهاينة المحتلّين فإن الدول العربية التي تشترك مع الفلسطينيين في العنصر واللغة والمعتقد والتاريخ تتحمل مسؤولية قومية ودينية وأخلاقية وحتى مصلحية في تقديم كل أنواع الدعم البشري والمادي والمعنوي لتخليص فلسطين من الصهاينة المغتصبين وإرجاع الوطن السّليب إلى أصحابه الحقيقيين

مهما بلغت التضحيات، لكن الواقع يدل على غير ذلك، وكأن القضية لم تكن أصلاً موجودة أو أنها مضخّمة ومبالغ في تصويرها، أو لا تستحق الاهتمام أصلاً، لذا نجد دولاً تنتسب للعروبة والإسلام لم تتخلى عنها فقط بل سالمت الصهاينة، أو طبعت علاقاتها معها، واعترفت بـ"حقها" في الوجود أي اغتصاب وطن الفلسطينيين، مما يدفع للتساؤل مرة أخرى: هل توجد قضية فلسطينية؟ وهل الفلسطينيون شعب مظلوم حقوقه ومهدورة؟ وللاستدلال على وجود قضية أم لا لن استند في هذه المرحلة من الدراسة إلى الدين أو القيم الاجتماعية بل إلى الشريعة التي أقرّتها دول العالم وضمنتها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

لم يساعد الإعلان العالمي الفلسطينيين في منع اغتصاب وطنهم وحفظ الحد الأدنى من حقوقهم، وتقتصر فائدته هنا على اعتماده نموذجاً قيمياً تقاس عليه قضية الفلسطينيين وما حل بهم، فهو بمثابة الحكم الصامت على القضية وعلى أطرافها ومعاونيهم، وهو ملزم أخلاقياً على الأقل للموقعين عليها، كما يكتسب الإعلان أهمية مضافة لأغراض هذه الدراسة كون الفرنسي رينيه كاسان أشهر أعضاء لجنة إعداده جاهر بكونه صهيونياً مناصراً لإنشاء الكيان العنصري على أرض الفلسطينيين، وعلى الرغم من أن المسودة الأولية للإعلان وضعها الكندي جون همفري تحت إشراف لجنة برئاسة إيليانور روزفلت أرملة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، وشارك العديد من الخبراء في دراستها وتطويرها فقد انفرد الفرنسي الصهيوني كاسان باعتراف واسع بدوره في صياغة الإعلان النهائي، ولهذا السبب كوفئ بمنحه جائزة نوبل للسلام في عام 1968م، كما أن ادعاء كاسان بأن كل ما تضمنه الإعلان نصّ عليه الكتاب المقدس لليهود يساند اختيار الإعلان هنا حكماً على أمثاله الذين استوطنوا

أرض الفلسطينيين بالقوة، وقبلوا بتقسيمها مؤقتاً حتى تسنّت لهم فرصة الاحتلال الكامل لها.

تضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ثلاثين مادة ويخرق اغتصاب الصهاينة لفلسطين كافة الحقوق المنصوص عليها فيه، وتقدم الفقرات التالية الأدلة على صحة هذا الاستنتاج، للتوصل إلى أن الكيان الصهيوني العنصري وداعميه والمعترفين به والمطبعين معه ينطبق عليهم جميعاً حكم الفيلسوف الألماني جورج فردرك هيجل بأن الدول التي لا تطبق الشرائع المعترف بها بين الدول لا تستحق الاعتراف بها.[5]

حق العيش في نظام اجتماعي دولي يكفل الحقوق والحريات

أكّدت المادة الثامنة والعشرون من الإعلان على هذا الحق الأساسي، وهو حق يفتقر له الفلسطينيون لأنهم أما مواطنون من الدرجة الأدنى داخل الكيان الصهيوني أو تحت سلطات الاحتلال العسكرية أو لاجئون في دول مجاورة وغيرها. وحقوق وحريات كلهم ناقصة أو شبه معدومة، فالفلسطينيون في أراضي 1948م أقلية، ينظر لها الصهاينة بارتياب عميق، ويعتبرونهم عنصراً غريباً، ويتمنون التخلص منهم بالتهجير أو الهجرة، ويمنعونهم من التعبير عن مواقفهم وأراءهم بالاحتلال الصهيوني لبلادهم وبأنهم أصحاب الحق الأصيل فيه، ومن يعش من الفلسطينيين تحت الاحتلال منذ 1967م محرومون من أبسط الحقوق والحريات، فلا توفر السلطة الفلسطينية كامل حقوقهم السياسية، لخضوعها للقيود المفروضة

---

[1] G. W. F. Hegel, **The Philosophy of Right**, par. 39, 218.

من الاحتلال، والتمادي في ذلك إلى حد التنسيق الأمني معها ضد المعارضة المسلحة والسلمية للاحتلال، كما أنها عطلت انتخاب ما يعرف بالمجلس التشريعي بعد إلغاءها نتائج آخر انتخابات، ويعتبرها الكثير من الفلسطينيين بأنها سلطة لا تمثلهم، ولا تلبي طموحهم لزوال الاحتلال في المدى القريب وغير فاعلة في إيقاف الاستيطان الصهيوني أو منع الاعتداء اليومي على حقوقهم وحرياتهم.

وثقت التقارير الدورية لمنظمات حقوق الإنسان الدولية انتهاكات قوات الاحتلال الصهيوني الدائمة لحقوق الفلسطينيين في الضفة الغربية، إذ شيدت جدار الفصل العنصري بينها وبين أراضي فلسطين المغتصبة، وأخضعت معظم مناطقها للحكم العسكري الصهيوني، واقتطعت مساحات شاسعة منها لإنشاء مستوطنات عليها، مما أدى إلى حرمان مالكيها من مصادر الرزق والتي هي أساس حقهم في الحياة الكريمة واستمرار استقرارهم في وطنهم وأرضهم، وتحجم قوات الاحتلال عن منع المستوطنين الصهاينة من الاعتداء على التجمعات السكنية للمواطنين الأصليين وتخريب منازلهم وقطع أشجارهم المثمرة وتجريف وحرق مزارعهم، وتعتقل الفلسطينيين الذين يتصدون لهذه الاعتداءات، والغاية منها بث حالة من عدم الاطمئنان والقلق بين الفلسطينيين ودفعهم لهجر قراهم وبيوتهم ومزارعهم ليتسنى لمستوطنين جدد الاستيلاء عليها، ومن وسائل التضييق على الحريات الأساسية للفلسطينيين تحت الاحتلال نشرها النقاط الأمنية التي تحد وبصورة كبيرة من ممارستهم لحرية التنقل بين مدنهم وبلداتهم، وتخضعهم لعمليات تفتيش واستجواب مفصل قبل السماح لهم بإكمال تنقلاتهم،

حق الحياة والأمن

هل هنالك ضرورة حقاً للاستناد إلى الإعلان الدولي لحقوق الإنسان أو أي معاهدة أو دستور أو قرار لإثبات حق إنسان في الحياة؟! لقد أقرت بعض دول العالم وبالأخص تلك التي ساعدت الصهاينة على احتلال فلسطين وتهجير سكانها قوانين لحماية الحيوانات، لكنها في الوقت ذاته لا تعير أهمية لاستمرار الكيان الصهيوني في قتل الفلسطينيين العزّل في الضفة الغربية وغزّة، وتسخوا عليه بالدعم المالي والدبلوماسي والإعلامي والتسليحي ليستمر في احتلال فلسطين واغتصاب المزيد من أراضي الفلسطينيين. إن قضية فلسطين هي أكبر شاهد على الإفلاس الأخلاقي والقيمي للدول التي تساند الكيان الصهيوني وعلى زيف ادعائها بالتحضر والدفاع عن حقوق الإنسان والحريات.

اقترف الصهاينة أثناء حرب 1948م مجازر أودت بحياة الآلاف من المدنيين الفلسطينيين، وكان لها الأثر الرئيس في تركهم لمساكنهم وممتلكاتهم. في فصل من كتاب منشور في 2007م أفاد صالح عبد الجواد بأن عدد وحجم هذه المجازر في تصور الجمهور وسجلات المؤرخين بما فيهم فلسطينيون أقل بكثير من الواقع الفعلي،[6] ووثّق الكاتب اقتراف ما يقارب 70 مجزرة ما بين بداية القتال في كانون الأول 1947م وانتهاءه في كانون الثاني 1949م، وهو إحصاء غير مكتمل كما وصفه، لأنه لا يغطي فترة الحرب بأكملها، ولا يشمل

[6] Saleh Abdel Jawad, Zionist Massacres: The Creation of the Palestinian Refugee Problem in the 1948 War, pp. 59-127 In: Eyal Benvenisti, Chaim Gans and Sari Hanafi (eds.) 2007. **Israel and the Palestinian Refugees**. Berlin: Springer.

بعض المناطق كالهجر البدوية ولا الهجمات الإرهابية[7]. طالت المجازر العديد من البلدات والقرى الفلسطينية، واستعملت فيها الطائرات لتحصد أرواح أكبر عدد من المدنيين، وحتى تلك التي تعايش سكانها مع مستوطنات الصهاينة القريبة من قراهم وعمل بعضهم حراساً فيها لم تسلم من المجازر والتهجير القسري، واستدلّ المؤلف من هذه الحقائق على وجود سياسة صهيونية مركزية هدفها التطهير العرقي للفلسطينيين[8]، وتعزز هذا الاستنتاج حقيقة أن مقترفي المجازر لم يعاقبوا.

ثلاثة اختيارات تواجه الفرد أمام أحداث الماضي: النسيان أو التناسي أو التذكّر، وعندما يتعرض شعب لمجازر مهولة، ويشرّد، ويحرم من كافة حقوقه الإنسانية فإن أي اختيار غير التذكّر خطيئة كبرى، وستبقى الذكرى لديه وأمته ثابتة بكافة تفاصيلها البشعة والمريرة حتى بعد تحصيل كافة الحقوق واسترجاع الوطن السّليب. مجزرة دار ياسين واحدة من المجازر التي زاد ضحاياها على السبعين التي تقفز إلى الذاكرة، وأفاد الصحافي اليهودي ليهرمان بأن عدد الضحايا مئتان[9]، واعترف الصهاينة باقترافهم جرائم اغتصاب نساء فيها، وهنالك المزيد مثلها وأكثر وحشية، ففي قرية الدوايمة قتل الصهاينة ما بين 100 و200 من السكان، واغتصبوا النساء بهمجية

---

[7] المصدر السابق، ص 60-61.

[8] المصدر السابق، ص 63-64.

[9] Hal Lehrman, The Arabs of Israel: Pages from a Correspondent’s Notebook. **Commentary**, December 1949.

استثنائية، والهدف منها ومجازر أخرى في منطقة الهبرون تنفيذ سياسة بن غوريون في إحكام السيطرة على المنطقة[10].

وصف صالح عبد الجواد تفنن السفاحين الصهاينة في القتل الجماعي والفردي وبطريقة منهجية مستعملين كافة وسائل العنف والإرهاب، وعادة ما يبدأ الصهاينة بشن هجمات متفرقة على البلدة أو القرية ثم يتبعونها بهجوم شامل واحتلالها، ويباشرون بعد ذلك بقتل سكانها ومواشيهم ونهب وهدم منازلهم، كما سلبوا النساء حليّهن وأموالهن، ومن تجرأ على المطالبة بممتلكاته قتلوه، ومنعوا القليل من الأحياء الباقين أو العائدين من دفن أمواتهم، وفي قريتي بيت جبرين والدوامية فخخ الصهاينة البيوت وجثث ضحاياهم، وكان مصير من تخلف من السكّان بسبب العجز القتل أو الموت جوعاً، وتركت جثث الضحايا من غير دفن لتأكلها الحيوانات أو نقلت بشاحنات وألقيت خارج حدود المناطق السّليبة. وبالإضافة إلى الوسائل العسكرية أرهب الصهاينة القرويين بالدعايات والأراجيف الهادفة لتخويفهم ودفعهم إلى هجر قراهم وممتلكاتهم، وعلق الكاتب على مصير الفلسطينيين في نظر العالم بأنهم مثل غبار تحت أقدام الأقوياء[11].

لم يكن قتل الفلسطينيين نتيجة محتمة للمجابهة والاندفاع بل كان مخططاً ومدبراً مع سبق الإصرار والتعمد، ويقرّ المؤرخ الصهيوني بني موريس بأن كثرة الإعدامات تدل على وجود منوال ثابت، إذ كان الصهاينة يجبرون الفلسطينيين المدنيين على الوقوف أمام أو

---

[10] المصدر السابق، ص 67.

[11] المصدر السابق، ص 69.

بالقرب من حائط ثم يطلقون الرصاص عليهم[12]. وهو أسلوب يذكّر بجرائم قوات النازية الألمانية في الحرب العالمية الثانية. وشهدت قرية مجد الكرم جرائم مماثلة، فبعد استسلام القرية للصهاينة إثر انسحاب القوات العربية بإسبوع حظر مقاتلان صهيونيان بصحبة مختار القرية وطلبا من السكّان تسليم أسلحتهم في ظرف نصف ساعة، ثم عمدا إلى اختيار خمسة من سكان القرية، وصفوهم أمام أحد الجدران وقتلوهم أمام أعين المئات من سكان القرية الذكور، كما قتلوا أربعة آخرين من السكان المذعورين، اثنان منهم طعناً بالحراب وتركا يعانيان من جراحهما البالغة لنصف ساعة قبل الإجهاز عليهما، كما قتلا امرأتين، إحداهما لأنها فرت من محاولة اغتصاب.

كان الصهاينة وبقيادة حاخاماتهم يقتلون الرجال والنساء والأطفال مدعين أن ربهم أجاز ذلك، كما أمر أسلافهم من قبل بقتل كافة سكان أريحا، كبارهم وصغارهم حتى حيواناتهم قرباناً للرب باستثناء العاهرة رحاب ومن لجأ إلى بيتها لأنهم حموا جواسيس اليهود، والاستيلاء على ما فيها من ذهب وفضة وغيرها من الموجودات الثمينة لتكون للرب ومن بعد ذلك إحراق المدينة[13].

كانت خطة الصهاينة اجتثاث الفلسطينيين من وطنهم أما بالقتل أو الإرهاب والقسر، ولم يتركوا وسيلة للقتل إلا واستخدموها، ومن أبشع جرائمهم تلويث مياه سكان عكا بجراثيم التيفوئيد[14].

---

[12] المصدر السابق، ص 82-83; أورد المصدر التالي معلومات عن أساليب الصهاينة في تهجير الفلسطينيين:

M. Palumbo, 1987.**The Palestinian Catastrophe, The 1948 Expulsion of a People from their Homeland**, pp. 171-

[13] سفر يشوع، الإصحاح السادس، **التوراة**.

[14] Ilan Pappe, 2006. **The Ethnic Cleansing of Palestine**. Oxford: One World Publications. p. xv.

غادر الفلسطينيون بلداتهم وقراهم مرغمين، وفي رمضان اشتدّ العطش بالصائمين منهم، ومن حافظ على صيامه مات عطشاً لندرة الماء، ولقي الكهول منهم مصيراً مماثلاً، فهم خرجوا على عجل ومن دون طعام أو ماء، وتوفيت أمهات وعلى صدورهن أطفالهن الرضع، واستغرق الوصول إلى مناطق شبه آمنة أياماً بدلاً من ساعات في الأوقات العادية[15].

بدأ مسلسل القتل الصهيوني للفلسطينيين والعرب منذ ما قبل إنشاء كيانهم غير الشرعي واستمر من دون هوادة وبوحشية حتى اليوم في غزّة، وتقدم مذبحة كفر قاسم في 1956م أثناء العدوان الثلاثي على مصر نموذجاً لهذه المجازر وطريقة الصهاينة في التعامل معها بمحاولة طمس حقائقها وإفلات المسؤولين عنها من المسائلة، وأفاد فواز تركي وغيره بأنه بعد انكشاف تفاصيل المذبحة المروعة مَثلَ مقترفوها أمام محكمة صورية[16]، ثم خفّضت العقوبات الصادرة بحقهم، وأعيدوا إلى وظائفهم ومراتبهم العسكرية، وأغفلوا مسؤولية الذين أصدروا لهم التعليمات من كبار القادة الصهاينة عن الجريمة النكراء التي أودت بحياة 48 من المدنيين الأبرياء من رجال ونساء عزّل وأطفال صغار.

فلسطينيو غزّة الذين أجبروا القوات الصهيونية على الجلاء عن أرضهم مستهدفون من الصهاينة، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم تعرضوا لحملات عسكرية وتوغلات وقصف جوي ومدفعي واغتيالات إرهابية، طالت الآلاف منهم، كما فرض الصهاينة عليهم

---

[15] Saleh Abdel Jawad، مصدر سبق ذكره، ص 71.

[16] Fawaz Turki, **The Disinherited: Journal of a Palestinian Exile**. New York: Monthly Review Press, 1972, p. 13.

حصاراً جائراً بغية إضعاف موقفهم الرافض للاعتراف بالكيان غير الشرعي، مما تسبب بمعاناة وحرمان سكان غزّة من الشعور بالأمن وفرص العمل والتجارة والتعليم والطبابة، وعلى سبيل المثال شن الصهاينة عدواناً غاشماً على غزّة في أواخر عام 2008 استمر لأكثر من ثلاثة أسابيع راح ضحيته 1500 شهيداً مقابل مقتل 11 مستوطناً.

لا يكاد يمر يوم من دون اقتراف القوات الأمنية والمحتلّين الصهاينة جرائم ضد الفلسطينيين، تؤدي إلى مقتل وجرح وأسر أبرياء ومدافعين عن حقوقهم في وطنهم، وتقصف البيوت بمن فيها من رجال ونساء وأطفال، إزاء صمت الدول الغربية وغيرها من حكومات ضالعة في جرائم الكيان الصهيوني، ولا تسمع سوى بيانات استنكار مائعة من دول عربية وإسلامية استسلمت للصهاينة أو أقامت علاقات سياسية ودبلوماسية واقتصادية وعسكرية محّرمة معها ونداءات فاجرة من مؤسسات دولية ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان للتهدئة والامتناع عن استعمال العنف.

بلغت الوقاحة بأدعياء الدفاع عن حقوق الإنسان في المنظمة الصهيونية المسماة شورات هادين الطلب من محكمة الجرائم الدولية التحقيق في قضية اقتراف الرئيس الفلسطيني جرائم حرب ضد الإنسانية[17]، وهكذا ينكر الصهاينة جرائمهم ضد الإنسانية ويتهمون الفلسطيني المعترف بكيانهم غير الشرعي والمتعاون معهم أمنياً بالإرهاب وارتكاب جرائم حرب.

---

[17] Nicola Perugini and Neve Gordon, 2015.**The Human Right to Dominate**. New York: Oxford University Press, pp. 127-128.

حق الملكية

"لا تسرق" هو أحد الوصايا العشرة التوراتية، ويستدل منها على وجوب احترام حق الملكية للجميع، واعتبرها الفلاسفة من الحقوق الأساسية بجانب الحق في الحياة، وتكتسب الحكومات شرعية وجودها وبقاءها من الحفاظ عليها. لذلك نصّت عليها وثائق حقوق الإنسان ودساتير الدول، وسنّت عقوبات رادعة على منتهكي هذا الحق. فعلى سبيل المثال قضى التعديل الرابع عشر للدستور الأمريكي على الحكومة الأمريكية بالامتناع عن مصادرة الأملاك الشخصية من دون حكم قضائي.

في سعيه لإيجاد وطن لليهود ينجيهم من المجازر والاضطهاد في دول أوروبا توسل ثيودور هرزل إلى ملك إيطاليا إيمانويل الثالث في كانون الثاني من عام 1904 ليقبل بإنشاء دولة يهودية في طرابلس الليبية، فرفض الملك طلبه قائلاً: "إنها موطن شعب آخر"،[18] وتدل هذه الواقعة على امرين جوهريين: أولهما أن الصهيونية التي مثلها هرزل لم تعتبر في حينها فلسطين إرثها التاريخي الموعود من ربهم في استعداده وأتباعه للقبول بالتوطن في بلد آخر لا يمت بصلة لهم، وثانيهما أن الملك الاستعماري إيمانويل الثالث أقرّ مبدأ حرمة انتهاك ملكية شعب لموطن وأرض، فلا يحق لقوة مستعمرة وهبها لجماعة أخرى، وهو المبدأ السامي الذي أخلّ به المحتلّون البريطانيون في وعد بلفور ومساعدتهم الصهاينة على طرد

[18] Michael Prior, 1997.**The Bible and Colonialism: A Moral Critique**. Sheffield, UK: Sheffield University Press, p. 111.

الفلسطينيين من موطنهم وإحلال الصهاينة المهاجرين من أوروبا مكانهم.

خرق الصهاينة الوصية التوراتية الناهية عن السرقة باحتلالهم واستيطانهم فلسطين موطن الشعب الفلسطيني، والمفكر الصهيوني مارتن بوبر اعترف بذلك لكنه حاول إضفاء شرعية دينية عليها بادعائه أن وجود الأمر – أي بالسرقة؟- من العقيدة فقد لا يكون الاحتلال سرقة[19].

افتقر قرار تقسيم فلسطين إلى الشرعية الأخلاقية، فهو في جوهره سرقة أرض من شعب وإعطائها لشرذمة من البشر، ويستوي العاطي والمستلم في جرم السرقة وما ترتب عليه من جرائم، إذ قرّر من لا يملك الأرض أي أعضاء جمعية الأمم المتحدة وعلى رأسهم دول الاستكبار والاستعمار أمريكا والإتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا وغيرهم منح أرض الفلسطينيين لمن لا يملكها أي الصهاينة، وليس للقرار شرعية حتى لو امتلك الصهاينة حجج تلك الأراضي أو حتى كافة أراضي فلسطين، فالوطن أكثر بكثير من الأرض، لأن للشعب الفلسطيني حقوقاً فيها فهم زارعوها ومغارسوها وساكنوها ولو لم يمتلكوا الأرض، كما أنها موطن آبائهم وأجدادهم ومسقط رؤوسهم ورؤوس أبنائهم، وفيها تزوجوا، ودفنوا موتاهم، ومارسوا طقوسهم الدينية وتقاليدهم المتوارثة، فالوطن هو بالإضافة إلى الأرض العقائد والثقافة والعلاقات الاجتماعية والذاكرة، وهذه لا تباع، ولا تنتزع بالقوة، ولا يمكن طمسها،

---

[19] Buber, Martin. 1973 **On Zion: The History of an Idea.** New York: Schocken Books, p. 146.

كما أن لشعوب أخرى عربية مسلمة ومسيحية حقوق فيها ولا يجوز التخلي عنها، لكل هذه الأسباب فقد كان قرار التقسيم جريمة سرقة وتشريع لاقتراف جرائم من أبشعها بحق الإنسانية، وكل يوم يمر عليها من دون إرجاع الوطن لأهله يقفز بها درجات على سلم الجرائم الجماعية الكبرى، وبالفعل فقد بلغت الدرجة الأعلى في فداحتها وبشاعتها، وتدين مرتكبيها والمتعاونين معهم، وتصمهم بالعداء المطلق للإنسانية.

افتقر قرار التقسيم للشرعية بالمطلق وزاد على ذلك بكونه مجحفاً بحقوق الفلسطينيين، فعلى سبيل المثال أدخل القرار في الشطر المخصص للصهاينة ما يقارب 85% من بساتين الحمضيات، بما في ذلك معظم البساتين المملوكة للعرب، واكتملت سرقة بساتين الحمضيات أثناء حرب 1948م، إذ فقد الفلسطينيون بنهايتها معظم البساتين، وغدا مالكوها والعاملون فيها لاجئين، وحوالي نصف بساتين الحمضيات الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني في 1949م تعود ملكيتها لفلسطينيين وصنفها الصهاينة بـ " المتروكة" لتسويغ نهبها[20]. والهدف الواضح من ذلك حرمان كل الفلسطينيين من مصدر رئيسي من مصادر الرزق مما يؤدي بهم إلى الفقر والهجرة، وحتى الذين اكتسبوا الجنسية الصهيونية منهم لم يتمكنوا من استرجاع ممتلكاتهم المنهوبة.

إن وجود الكيان الصهيوني انقلاب على كل حقائق التاريخ وتقويض لقواعد الإنسانية المتحضرة، وبلغت الصلافة بالصهاينة في قلب

---

[20] Mustafa Kabha and Nahum Karlinsky, 2021.**The Lost Orchard: The Palestinian-Arab Citrus Industry, 1850–1950**. New York: Syracuse University Press, pp. 117-123.

الحقائق بالادعاء بأن فلسطين ملك لهم بوعد تلقاه أجدادهم من معبودهم، فيكونوا هم أصحاب الأرض والفلسطينيون اللصوص، فانطبقت عليهم الحكمة العربية الخالدة: إن لم تستح فقل ما شئت، وهم لم يكتفوا بقول ذلك وترداده من دون اعتراض ما يعرف بالمجتمع الدولي، بل عملوا به، ففي كتاب للصهيوني دان كورزمان بعنوان "سفر الخلق 1948: الحرب العربية الإسرائيلية الأولى" باللغة الإنكليزية دافع عن عصابة شتيرن الإرهابية التي ارتكبت مجزرة دير ياسين بإنها نفذت تعاليم التوراة بصرامة وبالتحديد: "إذا وجد لص وضرب فمات فلا يسفك دم من أجله"[21]، وبوقاحة لا مثيل لها برّر هذا الصهيوني سفك دماء الفلسطينيين العزّل من رجال ونساء وأطفال واغتصاب نساءهم لأنهم "سرقوا" ما وهب الله لأجدادهم قبل ألفي عام وفقاً لكتبهم الدينية التي لا قيمة قانونية لها.

عبّر فواز تركي عن معاناة الفلسطيني الذي فقد وطنه وبيته بعد إنشاء الكيان الصهيوني، وشخّص الدافع وما وراء الحماس الأوروبي والأمريكي لاستلاب أرض الفلسطينيين وتقديمها للصهاينة، إذ يبدو ذلك متناقضاً كل التناقض مع ارتكاب الأوربيين مجازر للأقليات اليهودية واضطهادهم وتعمد الولايات المتحدة الأمريكية تقييد هجرتهم إليها حتى بعد الهولوكوست النازي[22]، والواضح أنهم الجناة بحق اليهود، لكنهم رفضوا إنصافهم من أنفسهم، فكان التعويض وطن الفلسطينيين، وبالنتيجة فإنهم ارتكبوا جريمتين، أولاهما ضد

---

[21] Saleh Abdel Jawad ، مصدر سابق، ص 78; ونص ادعاء كورزمان مدون في ترجمة كتابه باللغة الإسبانية:

Dan Kurzman, **Génesis. El nacimiento del moderno Israel,** 1970.

[22] Fawaz Turki, ص11،مصدر سابق.

اليهود والثانية مساعدة الصهاينة على احتلال واستلاب فلسطين من سكانها الأصليين.

عند توقيع الهدنة مع النظم العربية كان الكيان الصهيوني يسيطر على 76% من أرض فلسطين، وبعد انتهاء حرب 1948م استولت حكومة الاحتلال الصهيوني على مساحات شاسعة من الأراضي الفلسطينية، شملت حوالي 400 قرية وكافة أحياء الفلسطينيين في المدن المختلطة وستة بلدات عربية، ثم أقدمت على هدم معظم القرى المغتصبة وتوزيع أراضيها على المستوطنات الصهيونية، كما أسكنت الصهاينة في مساكن العرب التي لم تهدم. وعمد الكيان الصهيوني إلى تدمير العشرات من القرى الفلسطينية المهجورة بعد مطالبة لجنة الأمم المتحدة

Committee (UNPCC), UN Palestine Conciliation

كيان الصهاينة بقبول عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم في 1949م، وتعرضت بعض القرى لنهب كامل من قبل الصهاينة الذين جرّدوها من الأبواب والنوافذ وحتى الحجارة لتشييد وترميم بيوتهم، واستعملوا أنقاض البيوت في تبليط الشوارع[23].

شهد شاهد من أهلها وهو الصحافي هال ليهرمان على جرائم الصهيونية بحق فلسطين وأملاكهم، وضمنها تقاريره الصحفية المنشورة في 1949م، فاستعرض أعداد الفلسطينيين ما قبل وبعد النكبة، ففي رام الله احتل سبعة آلاف صهيوني المدينة بعد إفراغها من سكانها العرب البالغ عددهم 15 ألفاً، وفي يافا كان سكانها 75 ألفاً من العرب و20 ألفاً من اليهود، وبعد النكبة لم يتبقى فيها من

---

[23] Golan, Arnon, The Spatial Outcome of the 1948 War and Prospects for Return, pp. 41-58 In: Eyal Benvenisti, Chaim Gans and Sari Hanafi (eds.) 2007. **Israel and the Palestinian Refugees**. Berlin: Springer, pp. 42-48.

العرب سوى خمسة آلاف بينما ازداد عدد اليهود إلى 70 ألفاً، ونقل الصحافي حقيقة تعرض العرب المتبقين للفصل العنصري والتعسّف، إذ أجبروا على السكن في حي صغير معزول، وضعوا البراميل والأسلاك الشائكة في مدخله وحراساً من الصهاينة، ولا يسمح لسكانه بالخروج والدخول من دون تصريح، كما فتشوا بيوتهم بين الحين والآخر بذريعة البحث عن أسلحة. كما نقل ليهرمان الصورة المأسوية لبلدات وقرى فلسطين بعد النكبة فكتب ما يلي[24]:

> دمر الانسحاب البريطاني والحرب والتهجير الدنيا التي عرفها (وعاشها) العرب فلو سقت سيارتك بأي اتجاه في ريف (فلسطين المحتلّة) ستجد التجمعات السكنية العربية صامتة صمت الأموات، وتتفسّخ كالجيف تحت الشمس فالبيوت مفرغة بانفجارات ومسودة بالحرائق أو متعفّنة بفعل الإهمال.

أدت هزيمة النظم العربية في حرب الأيام الستة لعام 1967م واحتلال الصهاينة لما تبقى من أرض فلسطين في الضفة الغربية وغزّة إلى استيلائهم على المزيد من الأراضي، ففي نفس الشهر الذي شهد الحرب أي حزيران ضمّ الصهاينة إلى مدينة القدس ضواحي وقرى مجاورة للمدينة يسكنها فلسطينيون مساحتها 70000 دونم ضاربين عرض الحائط بالقانون الدولي، وتمهيداً لاستلاب المزيد من أراضي الفلسطينيين تدريجياً أصدرت قرارات على مدى سنين

---

[24] Hal Lehrman, The Arabs of Israel: Pages from a Correspondent’s Notebook. **Commentary**, December 1949.

صنّفت فيها ما يزيد على ربع أراضي الضفة الغربية "مناطق عسكرية مغلقة" يحظر على الفلسطينيين دخولها إلا بتصاريح[25].

تنوعت أساليب الصهاينة في الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزّة، ومنها بسط السيطرة على مساحات شاسعة باعتبارها محميات طبيعية بذريعة حماية البيئة، وحظرت استفادة الفلسطينيين منها، وحتى عام 1997م بلغت مساحة هذه "المحميات" حوالي 6 بالمائة من الضفة الغربية[26].

لا تزال الوسيلة الرئيسية لاستحواذ الصهاينة على الضفة الغربية وضمها إلى كيانهم اللاشرعي المستوطنات أو المغتصبات، وقد تنافست الحكومات الصهيونية على إنشاء المزيد منها لكسب أصوات ومساندة الصهاينة سواءً بذريعة كونها منطقة يهودا والسامرة التاريخية المزعومة أو لأسباب تتعلق بأمن كيانهم، وللاستيلاء على الأراضي الفلسطينية لبناء المستوطنات عليها أطلقوا عليها بصورة تتنافى مع القانون وكل الأعراف الإنسانية "أراضي دولة" واستباحوها، ومدوا بينها ممرات استيطانية، وقدر مركز بتسيلم الإسرائيلي مساحة المستوطنات غير النهائي بأكثر من خمس المساحة الكلية للضفة الغربية[27]، كما أن مواقع هذه المستوطنات اختيرت بخبث لتضمن السيطرة الصهيونية على الضفة وسكانها مستقبلاً، وأعدادها تتنامى كل شهر تقريباً، مما يدل على نية الكيان الصهيوني الواضحة على الاحتفاظ بالضفة الغربية.

---

[25] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة (بتسيلم) https://www.btselem.org/arabic/about_btselem.

[26] المصدر السابق..

[27] المصدر السابق.

مؤخراً نقلت مصادر الأخبار في الكيان الصهيوني نية رئيس وزراءه الإقامة في بيت حنا سلامة في حي الطالبية بمدينة القدس المحتلّة إلى حين انتهاء ترميم مقر رئاسة الوزراء، وحنا سلامة فلسطيني أجبر على مغادرة وطنه، ولجأ إلى لبنان وأقدم الصهاينة على اغتصاب منزله.

المساواة وعدم التمييز

يخرق الصهاينة المبدأ الإنساني القائل بأن العنصر البشري واحد، فلا يجب استعلاء جماعة على أخرى، ولا التمييز بينهم على أساس العنصر أو العرق أو اللون، لكن الصهاينة ينتهكون هذا الحق كل يوم. بسطت الحكومة الصهيونية بعد استيلاءها على فلسطين سلطتها على من تبقى منهم على أرضهم ورفض مغادرتها، لكنهم حصلوا على اعتراف منقوص لوضعهم القانوني، فمنذ إنشاء الكيان الغاصب وحتى عام 1965م أُخضعوا للحكم العسكري، وحرموا من كامل حقوقهم السياسية، في الوقت الذي منح القانون الصهيوني كلّ اليهود الحق في التجنس، فما أن يضع الواحد منهم قدميه على أرض فلسطين حتى يكتسب تلقائياً هذا الحق، وللتعمية على حقيقته أسموه قانون العودة، وهؤلاء الأغراب القادمين من دول أوروبية أو شرقية وعلى خلاف سكّان فلسطين العرب حصلوا على حقوق سياسية كاملة وغيرها من حقوق مدنية واجتماعية[28].

---

[28] Gershon Shafir, 2005. Settler Citizenship in the Jewish Colonization of Palestine, pp. 41-58. In Caroline Elkins and Susan Pedersen (eds), **Settler Colonialism in the Twentieth Century: Projects, Practices, Legacies.** New York: Routledge Taylor & Francis Group.

ادعاء النازيين الألمان وكذلك الفاشيين تفوق عنصرهم على غيرهم من البشر سوّغ لهم شن الحروب وأباح اقتراف المجازر، واستعمل الصهاينة نفس الوسيلة في الحطّ من مكانة الفلسطينيين بين بني البشر، ليستسهلوا قتلهم وتشريدهم والتنكيل بهم، ومنذ ما قبل تأسيس الكيان الغاصب دأب الصهاينة على وصف العرب والفلسطينيين بشكل خاص بأقذع النعوت للنيل من إنسانيتهم أمام جمهورهم الصهيوني وسط تجاهل مطبق من رعاة الكيان في الغرب والشرق، فعلى سبيل المثال دافع ثيودور هرزل عن إنشاء الكيان الصهيوني على أرض الفلسطينيين بالادعاء "بأنهم أي الصهاينة سيكونون جزءاً من السور العالي لأوروبا ضد آسيا، ومركزاً للحضارة مضاد للبربرية"[29]، والواضح من ادعاءه أن عرب فلسطين وكل العرب والمسلمين هم من البرابرة، بينما الأوروبيون الذين ذبحوا واضطهدوا اليهود واستعمروا ونهبوا قارات وشعوب العالم هم المتحضرون!

وصف إبراهام يار زعيم التنظيم الإرهابي (ليهي) العرب "بإنهم ليسوا بأمة وإنما حيوان خُلد (mole) نما في مجاهل الصحراء الأبدية، وهم ليسوا سوى قتلة"[30]، وتعددت النعوت التي راجت بين الصهاينة العنصريين للفلسطينيين فوصفوا بالعقارب والأفاعي والصراصير وغيرها من الحيوانات الدنيا، لذلك استسهل ومن دون رادع أخلاقي أعضاء هذه المنظمة الصهيونية الإرهابية تفجير القنابل وسط الأسواق المكتظّة بالعوائل الفلسطينية، وحتى الروائي الصهيوني

---

[29] Fawaz Turki, op.cit., p.17 quoted from Theodor Herzl, **A Jewish State**, London: Nutt, 1896, p. 29.

[30] Saleh Abdel Jawad، مصدر سابق، ص 79.

شامويل أجنون الفائز بجائزة نوبل للأدب في 1966م (وأي أدب؟) كتب في رواية له صادرة في 1945م بأن العرب" فاقدون للكرامة ويقبلون بالمهانة...مزعجين، قذرين، محتالين، كارهين للحضارة وشبيهين للكلاب"[31]، وبالرغم من هذا الفكر العنصري اللاإنساني المقيت فقد منح جائزة نوبل للأدب، وقرارها وصمة عار كبرى على مؤسسة نوبل السويدية.

العنصرية والهمجية السادية لدى الصهاينة توءمان لا انفكاك بينهما وعند كل شراذمهم، وينقل المؤرخ الصهيوني بني موريس عن الشاعر أبا كوفنر وصفه لردود فعل صهاينة على مسرح مجزرة اقترفها الصهاينة[32]:

> فجأة صارت الأرض رخوة [تحت عجلات سيارات الجيب لمجموعة ثعالب سامسون، وحدة جيفاتيس] – أجساد! العشرات من الأجساد تحت عجلاتهم. وجود بشر تحت عجلات سيارته أزعج السائق لكن انتظر قليلاً. وتذكّر مستعمرة نيجاب وداراس حيث قتلت قوات عربية صهاينة فساق سيارته عليهم. لا تترد يابني! إنهم كلاب مجرمة وعقابهم الموت، وكلما سحقت المزيد من الكلاب الدمويين كلما ازداد حبك للجميل والطيب..."

أغفل المؤرخ موريس ذكر حقيقة أن بيت داراس قرية فلسطينية هاجمها الصهاينة أربع مرات، وقتلى الصهاينة فيها هم المعتدون[33].

يحرص الصهاينة على نشر الصورة النمطية السلبية للفلسطينيين والعرب بصورة عامة في أذهان أجيالهم واستمرار مشاعر الاستعلاء

---

[31] المصدر السابق..

[32] Saleh Abdel Jawad، مصدر سابق، ص 80 مقتبس من:

Benny Morris, **The Birth of the Refugee Problem Revisited**, p. 437

[33] Saleh Abdel Jawad، مصدر سابق، ص 80.

والتفوق العنصري بينهم، وأورد سلايطة (2006) خلاصة ثلاث دراسات حول الكتب الدراسية الصهيونية المليئة بالحقد على العرب، ففي إحداهما خلص دانييل بارتال من جامعة تل أبيب إلى "أن الكتب الإسرائيلية المدرسية تبث فكرة أن اليهود يخوضون حرباً "مبررة وحتى إنسانية" ضد العرب الأعداء الذين يرفضون وجود وحقوق اليهود في إسرائيل. وبينما تصور هذه الكتب اليهود بأنهم شجعان ومكافحون تحطّ من مكانة العرب بوصفهم بالبلادة والانحطاط والقدرية والتقاعس والكسل، وبان الفلسطينيين متخلفين وأهملوا البلد ولم يزرعوا الأرض، وكل ما يفعله العرب بصورة عامة هو القتل والحرق والتدمير وهم قبليون وحاقدون وقذرون...[34] وتتكرر الصورة السلبيّة للعرب في نتائج مسح أدير كوهين (1999) لأراء طلاب الصفوف الرابعة إلى السادسة في مدارس الكيان الصهيوني في مدينة حيفا، ونقل سلايطة عنه أن خمساً وسبعين من الطلاب وصفوا العربي بأنه قاتل يخطف الأطفال ومجرم وإرهابي، وثمانون بالمائة منهم صوروا العربي بأنه قذر وبوجه مخيف، واتفق تسعون بالمائة منهم على القول بأن لا حق بالمطلق للفلسطينيين في فلسطين[35].

تنتشر المشاعر العنصرية تجاه العرب في المجتمع الصهيوني، وتنعكس في أبشع صورها عند قمته، وعبر عن ذلك الرئيس الصهيوني الأسبق (2000-2007م) موشي كتساف في قوله بأن "هنالك فجوة كبيرة بيننا وبين أعداءنا ليس فقط في القابليات بل في القيم والثقافة وحرمة الحياة والضمير، (الفلسطينيون) هم شعب لا ينتمي لقارتنا ولعالمنا بل ينتمون إلى مجرة أخرى"[36]، وما

[34] Steven Salaita, 2006. **Anti-Arab Racism in the USA Where It Comes from and What It Means for Politics Today**. London: Pluto Press, pp. 37-38.

[35] Steven Salaita, المصدر السابق, p. 38 .

[36] Steven Salaita, المصدر السابق, p. 39.

ادعاءه سوى إسقاط واضح وفاجر لبعض شرور الصهيونية على ضحاياها من الفلسطينيين والعرب[37].

إن وجود واستمرار الكيان الصهيوني بحد ذاته انقلاب تامّ وفجّ على كافة مفاهيم حقوق الإنسان المتفق عليها بين الأمم، ومن دون إي اكتراث من الصهاينة لمخالفتهم هذه المفاهيم، وهم بذلك يدّعون لأنفسهم الحق في الهيمنة، كما شخص المؤلفان بيروجيني وجوردن في كتابهما المعنون الحق الإنساني في الهيمنة، ويستشهدان على ذلك بدعوى رئيس الوزراء الصهيوني بنجامين نتنياهو بأن لو أنشأت دولة فلسطينية في الضفة الغربية فستطبق "التطهير العرقي" على المستوطنين الصهاينة المحتلّين للضفة، فلا يجوز في قاموس الصهاينة الإنساني إنهاء احتلالهم لأرض الفلسطينيين وإجلاء المستوطنين لأن ذلك ظلم وإجحاف بالصهاينة! وهكذا يقلب الصهاينة حقوق الإنسان رأساً على عقب فيكون المحتلّ القاتل بريئاً والضحية مذنباً مستحقاً لما يلقاه من قتل واضطهاد وتشريد، ويؤكد المؤلفان بأن نتنياهو ينكر أيضاً حقيقة تعرض الفلسطينيين في 1948م و1967م لعمليات تطهير عرقي حقيقية، وهم معرضون للطرد من منازلهم وأراضيهم باستمرار[38].

يقترن مصطلح الأبارهايد أي الفصل العنصري بالنظام العنصري البائد في دولة جنوب أفريقيا، واستحق ذلك النظام هذه التسمية لاتّباعه سياسة الفصل العنصري بين الأقلية البيضاء المستوطنة والحاكمة وبين شعب جنوب أفريقيا الأصيل والأقليات غير البيضاء

---

[37] سيق موشي كتساف إلى المحاكمة بتهم ارتكاب جرائم اغتصاب وتحرش جنسي وحكم عليه في 2010 بالسجن لمدة سبع سنوات، وأفرج عنه بعد خمس سنوات من السجن في 2016.

[38] Nicola Perugini and Neve Gordon, 2015.**The Human Right to Dominate**. New York: Oxford University Press، pp. 127-128.

المهاجرة إليه، ومن أبرز سمات نظام الأبارهايد احتكار العنصر المهيمن على السلطات واستئثاره بامتيازات يحرم منها السكّان من الإثنيات أو العناصر الأخرى، والفصل الجغرافي بينهم، والمعاملة المجحفة بحقهم، وهي كلّها من الخصائص الثابتة والمميزة للنظام الصهيوني الغاصب لفلسطين، لذلك يعتبر نظاماً للفصل العنصري كما كان نظام العنصر الأبيض في جنوب أفريقيا.

في تقرير لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب أسيا (الأسكوا) عن المعاملة الإسرائيلية للشعب الفلسطيني ومسألة الفصل العنصري (الأبارهايد) حرصت اللجنة على التأكيد على جسامة وصم سياسات وممارسات دولة ما بالفصل العنصري، فلا يجوز إجراء دراسة لذلك إلا بعد توفر أدلة كافية، واستنتجت الدراسة التي أعدتها اللجنة إلى أن الكيان الصهيوني أسس نظاماً للفصل العنصري للهيمنة على الشعب الفلسطيني بالكامل، وقد توفرت للجنة أدلة قاطعة لا تقبل الشك بأن هذا الكيان مذنب باعتماده سياسات وممارسات تشكل جريمة فصل عنصري، كما يعرفها القانون الدولي بما في ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والنظام التأسيسي للأمم المتحدة[39].

يتجلى الفصل العنصري للكيان الصهيوني بأقبح صوره في معاملته للسكان العرب في شرق مدينة القدس البالغ عددهم ثلاثمائة ألف نسمة كما يتبين من تقرير الأسكوا، وبعد حرب 1967م واحتلال الصهاينة للقدس الشرقية أقدم وبصورة غير شرعية ومخالفة للقوانين الدولية بضمها إلى كيانه المصطنع، وصنّف سكّانها الفلسطينيين بالمقيمين الدائمين من دون الحقوق السياسية

---

[39] Economic and Social Commission for Western Asia (ESCWA), 2027. **Israeli Practices towards the Palestinian People and the Question of Apartheid.** Beirut: United Nations.

والقانونية والامتيازات الأخرى لمواطني الكيان، كما وثّق تقرير اللجنة تعرضهم إلى التهجير وهدم البيوت بهدف جعل الصهاينة أغلبية فيها، وهم مهددون بالطرد إلى الضفة الغربية المحتلّة والحرمان من العودة لو تعاطفوا علناً مع الفلسطينيين تحت الاحتلال[40].

ليس الفلسطينيين ولا العرب أو حتى مؤسسة ما تلصق صفة الأبارهايد على النظام الصهيوني فقط، وعندما يأتي هذا الوصف من مركز لحقوق الإنسان داخل النظام فلا بد من تصديقه، إذ عرف مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في المناطق المحتلّة (بتسيلم) هدفه كما يلي[41]: "تفكيك نظام الأبارهايد (الفصل العنصري) والاحتلال وحماية حقوق الإنسان"، وتبين للعاملين فيه أن نظام الأبارهايد لا ينطبق فقط على المناطق المحتلّة بل على كل فلسطين[42]:

> اتّضح بمرور السّنين أنّ التصوّر بشأن وُجود نظامين متوازيين في المنطقة الممتدّة بين النهر والبحر – نظام ديمقراطيّ ثابت غربَ الخطّ الأخضر ونظام احتلال عسكريّ مؤقت شرقَ الخطّ الأخضر – هو تصوّر مفصول عن الواقع ولا يمت إليه بصلة. ذلك لأنّ كل المنطقة التي تسيطر عليها إسرائيل تخضع لنظام أبارهايد واحد يحكم حياة جميع من يعيشون تحت وطأته ويعمل وفقاً لمبدأ ناظم واحد: تكريس سيطرة مجموعة من البشر (اليهود) على مجموعة أخرى (الفلسطينيّون) عبر

---

[40] المصدر السابق، ص 5.

[41] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة (بتسيلم)، مصدر سابق.

[42] المصدر السابق.

استخدام القوانين والمُمارسات العملية والعُنف المنظّم.

يحذر مايكل برايَر في كتابه التوراة والاستعمار من استغلال الدين للهيمنة على شعب آخر والاستيلاء على ثرواته وتشريده، لأن ذلك يؤدي إلى التساؤل حول طبيعة هذا الدين ومصدره، ويركز الكتاب بشكل خاص على استعمال التوراة في تبرير وتطبيق برنامج أيديولوجي وسياسي يؤدي إلى معاناة دائمة لشعوب وحتى إبادتها[43].

حق العودة إلى الوطن

يكفل البند الثاني من المادة الثالثة عشر من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حق الفرد في مغادرة وطنه والعودة إليه، كما ورد في البند الرابع من المادة الثانية عشرة من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ما يلي:
(لا يجوز حرمان أحد، تعسّفا، من حق الدخول إلى بلده.)
ونصت المادة التاسعة والأربعون من اتفاقية جنيف الرابعة المبرمة في 1949مم على الآتي:
(يحظر النقل الجبري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين أو نفيهم من الأراضي المحتلّة إلى أراضي دولة الاحتلال أو إلى أراضي أي دولة أخرى، محتلة أو غير محتلّة، أياً كانت دواعيه. ومع ذلك، يجوز لدولة الاحتلال أن تقوم بإخلاء كلي أو جزئي لمنطقة محتلّة معينة،

---

43 Michael Prior, 1997.**The Bible and Colonialism: A Moral Critique**. Sheffield, UK: Sheffield University Press, pp. 13-14.

إذا اقتضى ذلك أمن السكان أو لأسباب عسكرية قهرية. ولا يجوز أن يترتب على عمليات الإخلاء نزوح الأشخاص المحميين إلا في إطار حدود الأراضي المحتلّة، ما لم يتعذر ذلك من الناحية المادية. ويجب إعادة السكان المنقولين على هذا النحو إلى مواطنهم بمجرد توقف الأعمال العدائية في هذا القطاع).

أُجبر الكيان الصهيوني مئات الألاف من الفلسطينيين على مغادرة وطنهم، واستعمل الصهاينة المحتلّون أساليب وحشية لتحقيق ذلك، فاقترفوا المجازر واغتصبوا النساء وفجروا المساكن وأحرقوا المزارع وتوعدوا المتبقين بالقتل، وأطلق الصهاينة على هذه العملية بالتسفير للتغطية على طبيعتها الإرهابية، كما ادعوا بأن الدول العربية أقنعت الفلسطينيين بالمغادرة ووعدتهم بإرجاعهم إلى ديارهم بعد القضاء على التهديد الصهيوني، ووصف بليتزيك (2020) هذا الادعاء بأنه "خرافة"، وأكد المؤلف بأن المصادر الفلسطينيّة تعزوا النكبة التي حلت بالفلسطينيين إلى تدمير الصهاينة لخمسمائة قرية وإخلائها من سكانها واستيلاء المستوطنين الصهاينة عليها[44].

نبه إيلان بابي إلى أن التطهير العرقي للفلسطينيين بدأ أثناء الانتداب، عندما كانت مسؤولية تطبيق القانون ومنع حدوث مثل هذه الجريمة النكراء تقع على كاهل سلطة الانتداب البريطانية، وأرغم الصهاينة حوالي ربع الفلسطينيين على النزوح من وطنهم حتى قبل مجيء القوات العربية[45].

---

[44] Anat Biletzki, 2020. Philosophy of Human Rights: A Systematic Introduction. New York: Routledge-Taylor and Francis Group, pp. 146-147.

[45] Ilan Pappe, 2006. **The Ethnic Cleansing of Palestine**. Oxford: One World Publications. p. xv.

اتبع الصهاينة سياسة منهجية لطرد العرب الفلسطينيين من وطنهم منذ العام 1947م لكي تكون فلسطين مستعمرة كبيرة للصهاينة المهاجرين من دول أوروبية وغيرها، وأنجزوا خطتهم على مراحل كما وصفها ماهر الشريف. بدأت المرحلة الأولى بالهجوم على بلدات وقرى مختارة وقتل العديد من سكانها وتفجير منازلهم وقسر الأحياء المتبقين على مغادرتها، ومن أهم نتائج هذه المرحلة دفع عشرات الألاف من عرب مدينة حيفا على النزوح عنها. وفي مرحلة تالية نفذ الصهاينة ما عرف بخطة داليت، وبموجبها وسعت العصابات الصهيونية الإرهابية هجماتها على البلدات والقرى الفلسطينيّة بهدف إفراغها من سكانها بالقتل والطرد وبسط سيطرتهم على أوسع مساحة من أرض فلسطين قبل انتهاء الانتداب البريطاني، ومن أفظع المذابح التي اقترفها الصهاينة في تلك المرحلة مجزرة دير ياسين التي ذهب ضحيتها مئتا رجل وامرأة وطفل وفقاً لإفادة ليهرمان[46]، وعمد الصهاينة إلى نشر أخبار الفجعة بين الفلسطينيين لخلق جو من الرعب بينهم ودفعهم إلى ترك بلادهم طلباً للنجاة بأنفسهم وأعراضهم من بطش الصهاينة، أما الصهيوني مناحيم بيجن فإدعى زوراً في كتابه الثورة بأن العرب هم من بثوا أخبار المجزرة مما أدى إلى نزوح الفلسطينيين من عدة بلدات وقرى غنمها الصهاينة من دون إراقة دم[47]، وأكمل الصهاينة طرد ما تبقى من سكان حيفا العرب وصفد وعدة أحياء مقدسية، وشهد الصحافي اليهودي ليهرمان (1949) بأن اليهود المسرّحين من

---

[46] Hal Lehrman, The Arabs of Israel: Pages from a Correspondent’s Notebook. **Commentary**, December 1949. https://www.commentary.org/articles/hal-lehrman/the-arabs-of-israelpages-from-a-correspondents-notebook/

[47] Menachem Begin, 1977, **The Revolt**. New York: Dell Publishing

الخدمة في الجيش كانوا يطردون العرب من بيوتهم وشققهم بالقوة ويستولون عليها ويسكنون فيها، ونقل عن فلسطينيّ وصفاً محزناً لوضعه وعائلته[48]:

> نسكن في شقة من أربع غرف خالية (من الأثاث). صادر الجنود اليهود الأثاث. لقد انتهى (الوضع) في المدينة القديمة. في حيفا كانت عائلتي تمتلك بيتاً واسعاً، لكن البريطانيين أخبرونا بأننا لو بقينا فسيقطع اليهود رقابنا. لا نستطيع العودة وقد أصبح بيتنا مسكناً لليهود.

استمرت حملات احتلال مناطق إضافية من أرض فلسطين وقتل وتهجير سكانها أثناء الحرب العربية – الصهيونية ومغادرة قوات الانتداب البريطاني مما أتاح للصهاينة استقدام المزيد من المهاجرين والتزود بالأسلحة، وكانت حصيلتها المفجعة سيطرة الكيان الصهيوني على أكثر من ثلاثة أرباع مساحة فلسطين تحت الانتداب وتدمير 400 قرية وقتل الآلاف من سكانها وطرد حوالي 90 بالمائة من سكانها[49]، أي ما يقارب 800000 من أصل سكّان فلسطين العرب البالغ مجموعهم مليون وربع نسمة لمغادرة بلادهم طلباً للأمن وخوفاً من بطش القوات الصهيونية، وسكنوا مخيمات اللجوء في الضفة الغربية والبلدان المجاورة

أفضت حرب الأيام الستة بين الكيان الصهيوني والدول العربية المجاورة إلى موجة كبرى أخرى من اللجوء القسري، إذ نزح ما يقارب

---

48 Hal Lehrman, مصدر سابق

49 ماهر الشريف، النكبة مراحل تهجير قسري. الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية. https://www.palquest.org/ar/highlight/287/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%83%D8%A8%D8%A9.

300000 فلسطينيّ من الضفة الغربية وغزّة والجولان السوري لينضموا إلى الشتات الفلسطينيّ.

أغضبت بعض اقتراحات الوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت زعماء الصهاينة، وهو بالتأكيد لم يكن منحازاً للفلسطينيين لكنه أقرّ في أحد تقاريره الصادرة في عام 1948 بحق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم:

" يعترف لسكان فلسطين الذين تركوها بسبب الظروف الناشئة عن النزاع الحال بحقهم في العودة إلى ديارهم بدون قيد وبأن يستردوا ممتلكاتهم"[50].

لذلك أقدموا على اغتياله من دون الخوف من المحاسبة والعقاب.

حسم بليتزيك الجدل حول سبب مغادرة الفلسطينيين لبلدهم بالتأكيد على أنه مهما كان سبب ذلك، سواءً بالتهجير القسري نتيجة العمليات الصهيونية أو طلباً للسلامة والأمن من عنف الصهاينة بعد معاينتهم للقتال والمجازر الصهيونية أو استجابة لوعود حكومات عربية لا يغير من وضعهم القانوني بكونهم لاجئين، وتنطبق هذه الصفة القانونية على اللاجئين الأصليين البالغ تعدادهم حوالي المليون وكذلك الأجيال الأربعة من ذرياتهم ويقدرون ما بين خمسة وسبعة ملايين يحق لهم العودة إلى وطنهم فلسطين[51].

بعد اغتصاب فلسطين بزمن قصير وافق الكيان الصهيوني على قبول عودة 100000لاجيء فلسطينيّ ثم في 1951م تنصّل من ذلك، ومنذ ذلك الزمن يرفض رفضاً قاطعاً الإقرار بحق العودة

---

[50] جامعة الدول العربية، **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين**، المجموعة الثانية، 1947-1950. القاهرة: جامعة الدول العربية، الإدارة العامة لشؤون فلسطين، (1947، 168-173.

[51] Anat Biletzki, 2020، مصدر سابق.

للفلسطينيين، ووصف الصحافي هلرمان الذي تقصّى الوضع في فلسطين المحتلّة بعد إنشاء الكيان الصهيوني أمل الفلسطينيين المشردين بالعودة إلى أيامهم بالحلم[52]:

> نسمع بأن معظم اللاجئين في غزّة أو على حدود (الكيان الصهيوني) مع جيرانه يريدون العودة إلى أرضهم، ولو كان ذلك صحيحاً فهم يعيشون في أرض الأحلام، وأتساءل عن العدد من هؤلاء العرب الذين يدركون بأن نمط حياتهم قد مزّق.

استذكر فواز تركي الذي هجر هو وعائلته من بلدته القريبة من حيفا وسكن مخيمات اللاجئين في لبنان اجتماع العائلات الفلسطينيّة حول المذياع الساعة الثالثة من عصر كل يوم للاستماع إلى نشرة خاصة تبثها إذاعة الكيان الصهيوني باللغة العربية، وبصمت استعموا لرسائل الفلسطينيين الذين مكثوا في وطنهم إلى أقاربهم وأصدقائهم المهجّرين، ولم يقطع الصمت سوى بكاء أحد المجتمعين لسماعه صوت فرد عزيز من عائلته وأقاربه[53].

الحق في الحصول على مستوى معيشي مقبول

اعتبرت المادة 25 من الإعلان العالمي بأن من حقوق البشر الحصول على مستوى معيشة يكفي احتياجاتهم الأساسية وكذلك قدراً من الرفاهية، كما اعترفت لهم المادة 23 بالحق في الحصول على عمل وأجر عادل، وعندما يشرّد معظم السكان من مدنهم

---

[52] Hal Lehrman, **The Arabs of Israel: Pages from a Correspondent's Notebook**, مصدر سابق

[53] Fawaz Turki, ،مصدر سابق ص 9.

وبلداتهم وقراهم، ويضطرون للعيش في مخيمات اللجوء فيما تبقى من وطنهم والبلدان المجاورة يخسرون مقومات الحياة بأدنى مستوياتها،

لم يكن وضع الفلسطينيين الماكثين في وطنهم أفضل بكثير من مواطنيهم اللاجئين، ولخص الصحافي ليهمار مشاهداته عن مستوى النشاط في المدن والقرى العربية داخل فلسطين المحتلّة بعد نكبة 1948م : " بصورة عامة لقد خسر الفلاحون والمهنيون والتجار العرب مقومات عملهم، وفي مدينة يافا بالذات توقف نشاط التجارة بين العرب."[54] أما في عكا فلم يبق فيها من الفلسطينيين العرب سوى 3500 ونصفهم من اللاجئين، ولا تتوفر لهم سبل العيش، فقد أغلقت غالبية دكاكينهم في السوق الذي كان ما قبل النكبة يفيض بالنشاط والحركة، لذلك يعتمد غالبيتهم كلياً على المعونات الغذائية المقدمة من الأمم المتحدة، ويدفع للعمال العرب العاملين في المؤسسات والمصالح اليهودية أجوراً أقل من العمال اليهود[55]. أخضعت السلطات الصهيونية الفلسطينيين المتبقين للحكم العسكري، مما وضع عقبات كبيرة على فرص حصولهم على عمل وممارسة نشاطاتهم الاقتصادية.

بعد احتلال الصهاينة للضفة الغربية من فلسطين تحكموا باقتصادها الكلي، ووضعوا القيود الجائرة على تجارتها الخارجية والداخلية وحركة البضائع داخلها، وفرضوا الضرائب والرسوم عليها، كما عمدوا إلى الاستيلاء على مساحات شاسعة من أراضيها لإقامة مستوطنات غير شرعية، وصادروا الأراضي الزراعية الخصبة

---

[54] Hal Lehrman, **The Arabs of Israel: Pages from a Correspondent's Notebook**, مصدر سابق

[55] المصدر السابق.

والبساتين المثمرة ومناطق الرعي بحجة كونها مملوكة لمهاجرين أو أملاك عامة، وشهد مركز بتسيلم لحقوق الإنسان على نهب الصهاينة لأراضي الضفة الغربية الزراعية[56]:

> في الوقت الحاليّ يفلح المستوطنون ما يزيد على 100,000 دونم من الأراضي الفلسطينيّة في الضّفة الغربيّة .كانت فلاحة الأراضي الزراعيّة على يد المستوطنين آلية أخرى استخدمتها إسرائيل لقضم الأراضي الفلسطينيّة ولتوسيع وتثبيت سيطرتها على الأراضي المحتلّة.

وكل هذه الإجراءات الصهيونية في الضفة الغربية ممارسات تتنافى مع المادة (17) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي تدعو لاحترام حق الملكية وضمان حفظ الأملاك الفردية من المصادرة التعسّفية، فحرموا الفلسطينيين من الاستفادة منها، كما سيطروا على مصادر المياه السّطحية والجوفية، واستأثروا بالحصة الأكبر منها، ففي الاتفاق المبرم مع الكيان الصهيوني ارتضى الوفد الفلسطينيّ بحصة بخسة من مياه أراضيهم لا تجاوز 20 بالمائة ولفترة خمس سنوات، وبعد انقضاءها بقيت المحاصصة كما هي، لذلك تضطر السلطة الفلسطينيّة لشراء الماء من شركة المياه الصهيونية بكميات لا تكفي لبلوغ المستوى المقبول لاحتياجات الفلسطينيين، كما يمنع الصهاينة تنفيذ مشاريع لزيادة استفادة الفلسطينيين من الموارد المتاحة لهم، وخلص تقرير المركز الإسرائيلي بتسيلم إلى النتيجة التالية حول سياسة الصهاينة في تقنين وحرمان الفلسطينيين من حقوقهم المائية: " تنظر إسرائيل إلى

---

[56] المصدر السابق.

المياه - كما الموارد الطبيعية الأخرى في الضفة الغربية - بأنها ملكها وحدها كما تستخدمها لغرض مزدوج: أولاً لتلبية احتياجاتها هي وخاصة احتياجات المستوطنين في الضفة وثانياً لأجل سلب مناطق بعينها من أيدي الفلسطينيين وفرض سيطرتها عليها[57]".

اتبع الصهاينة سياسة علنية في التضييق على حياة وسبل عيش الفلسطينيين، فغضوا الطرف عن ممارسات المستوطنين الصهاينة في منع الفلسطينيين من زراعة أراضيهم وجني ثمارهم بالقوة والتهديد، وصار من المعتاد قيام هؤلاء المعتدين بتجريف مزارع الفلسطينيين وقلع وتدمير أشجار بساتينهم، ومنعت القوى الأمنية الصهيونية الفلسطينيين من التصدي لاعتداءات المستوطنين.

تفرض السلطات الصهيونية حصاراً جائراً غير مشروع على الفلسطينيين في قطاع غزّة، والقصد منه إجبار السلطات في غزّة على الاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب، ويشمل هذا الحصار كافة مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية، إذ تفرض قيوداً شديدة على سفر السكّان من وإلى القطاع وعلى التجارة وحركة البضائع، ولا يسلم من مضايقات الصهاينة شبه اليومية صيادو الأسماك في بحر غزّة، كما تمنع الفلسطينيين الغزاويين من الاستفادة من ثروات بحرهم من النفط والغاز، ويتسبب هذا الحصار الخانق في معاناة شديدة لسكّانها ويؤثر سلباً في جودة الحياة فيها، فتشح مواد أساسية للنشاطات الحيوية والاقتصادية والخدمية، ومنها الأدوية والأجهزة الطبية ومواد البناء، وما بين نقص العناية الطبية المحلية وصعوبة السفر للاستشفاء في الخارج يتوفى المرضى وتزداد معاناة

---

[57] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة (بتسيلم)، مصدر سابق.

الأحياء منهم، ومن المحزن والمخزي مشاركة النظام المصري في هذا الحصار، الذي يعد جريمة جليّة ضد الإنسانية وحقوق الإنسان.

الحقوق السياسية

كفل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في بعض مواده الحقوق السياسية للبشر، وهي الحق في المواطنة أو الجنسية والاحتفاظ بها (المادة 15) والحق في حرية الرأي والتعبير (المادة 19) والمشاركة الحرة في الجمعيات والاجتماعات (المادة 20)، ومن أهم متطلبات ممارسة الحقوق السياسية حرية التنقل (المادة 13)، والفلسطينيون في القدس الشرقية المحتلّة والضفة الغربية ومخيمات اللجوء في الدول المجاورة محرومون من هذه الحقوق، إذ سلب الصهاينة منهم الأرض وإن لم ولن يستطيعوا سلبهم هويتهم الوطنية، فصاروا أما لاجئين أو تحت الاحتلال الصهيوني.

حصلت الدولة الفلسطينيّة على اعتراف أكثرية دول العالم باستثناء دول حليفة للكيان الصهيوني تتقدمها أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وكندا، لكن لا توجد على الواقع دولة فلسطينيّة تمتلك مقومات الدول المستقلة المتعارف عليها، ومن أبرزها حدود دولية معترف بها وحكومة ذات سيادة وسلطات غير منقوصة على شعبها وأرضها وفضائها وحدودها ومواردها وعلاقاتها الخارجية، ولها إدارات مدنية وقضاء مستقل وجيش وطني، والسلطة الفلسطينيّة في رام الله لا تمتلك معظم هذه المقومات، فليست هي حكومة لدولة بل هي كما يستدل من اسمها سلطة تؤدي وظائف محددة تحت الاحتلال وتنسق معه، ووصف مركز بتسيلم العبري سلطاتها على المناطق ذات الكثافة السكّانية العالية

في الضفة بأنها "ظاهرية"، وليس للسلطة جيش وطني، والقوى الأمنية الصهيونية تجول في مناطق الضفة، وتعتقل الفلسطينيين المقاومين والمعارضين للاحتلال كما تشاء، وتزّجهم في السجون، وتقدمهم لمحاكم صهيونية تحكم عليهم بالسجن، وتمدد مدد أحكامهم، وتحتجز جثامين السجناء.

كان من المفترض وفقاً لاتفاق مبرم مع الاحتلال الصهيوني في 1993م في العاصمة الأمريكية واشنطن أن تكون السلطة الفلسطينيّة إدارة ذاتية مرحلية تؤدي بعد خمسة أعوام إلى نشوء الدولة، لكن احتمال ذلك يتضاءل باطّراد نتيجة إصرار الصهاينة على بقاء الاحتلال والتوسع في إقامة المستعمرات وقضم المزيد من الأراضي والتهديد المستمر بضم الضفة كما فعلت في القدس الشرقية المحتلّة من دون معارضة أو عقوبة من المؤسسات الدولية ودول العالم، ومؤخراً اعترف الرئيس الأمريكي السابق ترامب بهذا الضم غير الشرعي المخالف لكافة قواعد واتفاقيات القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

تتولى السلطة الفلسطينيّة إصدار هويات شخصية وجوازات سفر للفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية، وهي ملزمة بمشاركة الصهاينة بقواعد البيانات لما تصدره من وثائق للفلسطينيين، ويشترط الصهاينة الحصول على هذه البيانات للسماح بعبور الفلسطينيين عبر المعابر التي يتحكمون بها، وهو دليل آخر على نقصان السيادة الفلسطينيّة.

لا يتمتع الفلسطينيون تحت الاحتلال المباشر أو سلطة رام الله بحرية الرأي والتعبير وتكوين الجمعيات وتنظيم الاجتماعات والاحتجاجات، وتواجه محاولات الفلسطينيين ممارسة هذه الحقوق بالمنع والقمع، وتوجه لهم الإنذارات والتهديدات، ويزّجون في

السجون، أو يطردون من القدس الشرقية المحتلّة والضفة الغربية، وتشارك السلطة الفلسطينيّة في إسكات الأصوات الداعية لمقاومة الاحتلال، وتنسق مع الأمن الصهيوني في ملاحقة وسجن الناشطين والمقاومين ضد الاحتلال، كما أن مجال الحرية المتاح لمعارضي السلطة الفلسطينيّة ضيق.

أقامت السلطات الصهيونية حواجز أمنية على طرق الضفة الغربية، فتستوقف المارة والسيارات السالكة لتدقيق الهويات وتصاريح المرور، مما يتسبب بزحام خانق عندها، فيستغرق السفر بين المدن أوقات أطول من المعتاد، ويتأخر حصول المرضى على العناية الطبية، وتزداد كلفة النقل والشحن نتيجة تعدد الحواجز، ويتعامل الصهاينة المسؤولون عن الحواجز بفظاظة وقسوة مع الفلسطينيين. وتشدد الصهاينة في التصريح للمسافرين والبضائع من وإلى غزّة يؤدي إلى ما يشبه الحصار التام عليها، " مما يجعل الحياة اليومية في القطاع محنة لا تنتهي إذ هي محكومة كلّيًّا بإرادة إسرائيل"[58].

الحقوق القانونية

تضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عدة مواد بخصوص الحقوق القانونية للبشر، فقد نصت المواد السابعة والثامنة والتاسعة على مبدأ المساواة أمام القانون، وأكدت المادة التاسعة على حق الفرد في التقاضي وسماع شكواه أمام محاكم وطنية،

---

[58] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة (بتسيلم)، مصدر سابق.

وكفلت المادة التاسعة حق الفرد في الحماية القانونية من الاعتقال أو الحجز أو النفي التعسّفي، أما المادة الخامسة فحرمت التعذيب والمعاملة الجائرة والعقوبات القاسية والمهينة، والسلطات الصهيونية تنتهك وبصورة منهجية كل هذه الحقوق في معاملتها للفلسطينيين.

لا يطبق القانون بالتساوي على الصهاينة المحتلّين والفلسطينيين أصحاب الأرض، وحياة الفلسطينيّ في الضفة والقطاع غير محمية بالقانون، إذ يبيح للجنود وقوات الأمن اطلاق النار على الفلسطينيين عند الحواجز وفي الطرقات لمجرد الاشتباه باحتمال وجود تهديد أمني، ويجيز لهم شنّ الغارات بمختلف الوسائل القتالية على منازل الفلسطينيين لقتل المقاومين من دون الأخذ بالاعتبار وجود مدنيين داخلها، مما يؤدي مراراً وتكراراً لقتل نساء وأطفال ومدنيين ورجال عزّل، ولا يستحق هؤلاء الضحايا تعويضاً أو اعتذاراً لأنهم فلسطينيون، وعلى سبيل المثال قبل عام قتل قناص صهيوني الصحافية شيرين أبو عاقلة عمداً ولم يراعي كونها صحافية تحميها المواثيق الدولية، وبدلاً من معاقبة القاتل اتهم الصهاينة الفلسطينيين زوراً بقتلها، وفي شباط من عام 2023م هاجم المستوطنون مدينة حوارة الفلسطينيّة، واعتدوا على سكانها وممتلكاتهم، ثم عادوا بعد أسبوع واحد فقط ليكملوا ما بدأوه وبمساعدة القوات الصهيونية، وهاجموا المدنيين وأضرموا النار في منازلهم ودكاكينهم وحطموا سياراتهم، ثم شاركوا والقوات الصهيونية في الرقص بالشوارع، وعلق رئيس لجنة الأمن القومي في الكنيست الصهيوني مؤيداً هجوم المستوطنين: " "حوارة مغلقة

ومحترقة - هذا ما أريد أن أراه. هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الردع ". وسجل بتسيئل سموتيريش وزير المالية في وزارة نتنياهو إعجابه بتغريدة تقول: " قرية حوارة يجب أن تُمحى اليوم". كانت جرائم المستوطنين في حوارة ومباركة بعض ساسة الصهاينة لها وصمت الباقين صادمة حتى بالنسبة لبعض الصهاينة الذين اعتادوا على التشدق بحرصهم على قيم ومبادئ العدالة والقانون فنشرت صحيفة هاأريتز الصهيونية في عددها الصادر في السادس من آذار 2023 مقالاً عن الحدث بعنوان "في حوارة رأينا وجهنا الحقيقي"، وثقت فيه حقائق هجوم المستوطنين الذين بلغ عددهم 400، وحرقهم المنازل وإطلاقهم النار على الصحافيين وقتلهم فلسطينيّ، وامتناع قوى الأمن الصهيونية من حماية سكان المدينة الفلسطينيين، واستشهد كاتب المقال بقول لديفيد بن جوريون أول رئيس وزارة صهيوني: " عندما يكون لدينا لص يهودي وعاهرة ستكون لنا دولة"، وقد تحقق ذلك بالفعل وفقاً لكاتب المقال، وأتى على ذكر العديد من حالات التعامل الوحشي للشرطة الصهيونية مع الفلسطينيين ومنها في عام 2013م تعرض أفراد قبيلة بدوية بعد تقييدهم للضرب والدوس على أبدانهم، وقام أحد الشرطة بالتبول على وجه أحد السكان البدو، من دون اعتراض أو استنكار من قبل الصهاينة، خلص المقال إلى وصف المستوطنين المهاجمين على حوارة بالإرهابيين وما اقترفوه من أعمال بالإرهابية[59].

[59] Haaretz: Hawara Dropped the Mask on Israel’s Trye Face, **Teller Report**, March 6, 2023. https://www.tellerreport.com/news/2023-03-07-haaretz--hawwara-dropped-the-mask-on-israel-s-true-face.H1zC2mrNk2.html

يرزح آلاف الفلسطينيين في السجون الصهيونية، وهم في نظر الفلسطينيين أسرى لا معتقلون، لأنهم تحت الاحتلال، وخلافاً لحقوق الإنسان مثلوا أمام محاكم عسكرية صهيونية لا فلسطينيّة أصدرت عليهم أحكاماً جائرة وغير قانونية في نظر القانون الدولي، وفيما تنظر هذه المحاكم في القضايا الأمنية والمدنية لكافة سكان الضفة الفلسطينيين تختص المحاكم المدنية الصهيونية بالاستماع للقضايا المتهم بها المستوطنون الصهاينة في الضفة، وهي دليل آخر على التمييز العرقي الذي تمارسه السلطات الصهيونية، وقد تأخذ إجراءات التحقيق في القضايا المرفوعة ضد فلسطينيين وقتاً طويلاً نسبياً، يلجأ القضاة إلى تمديد فترة اعتقال المتهم حتى انتهاء الإجراءات، وحتى لو أدانت المحكمة المتهم فإن طول فترة الاعتقال قبل المحاكمة يعتبر تعاملاً تعسفياً منهياّ عنه في شرع حقوق الإنسان، واستنتج تقرير لمركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان بأن المحاكم العسكرية هي "بمثابة آلية مركزية لتفعيل السيطرة الإسرائيلية على الشعب الفلسطينيّ"[60].

في عام 1979م صادق الكنيست الصهيوني على قانون سلطات الطوارئ الذي شرع الاعتقال الإداري للفلسطينيين ولمدة تصل إلى ستة أشهر قابلة للتجديد بقرار إداري أيضاً، وقد تصل المدة إلى عدة سنوات، ولا يتطلب الاعتقال الإداري توجيه تهم محددة للمعتقل أو محاكمته، وتستند إلى ذريعة وجود شبهة بنية المعتقل تنفيذ عمل يهدد أمن الصهاينة، ولا يفرض القانون الكشف عن هذه التهم

[60] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان (بتسيلم)، **المحاكم العسكرية**، 11 تشرين الثاني، 2017م.

والأدلة المزعومة لمحامي المعتقل، وعادة ما تبرر السلطات الصهيونية ذلك بأن ملفات التهم سرّيّة، كما لا يستثنى القصّر من الاعتقال، وتستعمل السلطات الصهيونية الاعتقال الإداري لحبس نشطاء فلسطينيين بسبب أراءهم السياسية المناهضة للاحتلال[61].

صادقت الأمم المتحدة على اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة في كانون الأول من عام 1984م، وبعد مصادقة 20 دولة عليها أصبحت نافذة المفعول، ولم يقرّها الكيان الصهيوني إلا في تشرين الثاني من عام 1991م، لكنه استمر في استعمال التعذيب في التحقيق مع السجناء الفلسطينيين، كما تشهد تقارير منظمات حقوق الإنسان وإفادات السجناء. وفي عام 1991م حظرت المحكمة العليا الصهيونية استعمال التعذيب، مع إبراء المحققين الذين استخدموا هذه الوسائل من المحاسبة، لكن جهاز الشاباك داوم على استعمال مختلف أنواع التعذيب الجسدي والنفسي على مئات المعتقلين الفلسطينيين كما وثق تقرير مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلّة (بتسيلم)[62]، ومنظمة العفو الدولية[63].

---

[61] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان (بتسيلم)، **الاعتقال الإداري**.

[62] مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان (بتسيلم)، **التعذيب والتنكيل أثناء التحقيق**، 11 تشرين الثاني 2017م

[63] Amnesty International, **Israel/ OPT: Legally-sanctioned torture of Palestinian detainee left him in critical condition**. Press Release, October 30, 2019.

الحقوق الدينية

كرّست المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حق الإنسان في حرية العبادة وممارسة شعائر دينه في العلن، ومنذ تأسيس الكيان الصهيوني دأب على امتهان الحقوق الدينية للفلسطينيين المسلمين والمسيحيين، فأثناء حرب 1948م لم يراعي الصهاينة حرمة دور العبادة، ووثّقت عمليات إعدام داخل المساجد، وخلال حملات التهجير التي تلتها تعرضت مساجد المسلمين في مدنهم وقراهم التي هجروا منها إلى التخريب والتفجير. بعد هزيمة العرب في 1967م واحتلال الضفة الغربية وغزّة دنست القوات الصهيونية مساجد المسلمين واعتدت على كنائس المسيحيين.

أعدّ موقع قناة الجزيرة قائمة بأبرز انتهاكات الصهاينة للمسجد الأقصى بعد احتلال القدس الشرقية، فأثناء حرب 1967م اقتحم الجيش الصهيوني المسجد الأقصى، ووضعوا علمهم على قبة الصخرة المكان المقدس لدى المسلمين وحرقوا المصاحف[64]، ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف اقتحامات الصهاينة للمسجد الأقصى ومنع الكثيرين من الراغبين في الصلاة فيه والاعتداء على المصليّن، وتكشفت نيتهم هدم المسجد الأقصى، لكي يبنوا على أنقاضه الهيكل عندما أقدم أسترالي متصهين على إحراق المسجد الأقصى في 1969م، ويستمر الصهاينة بحفر الأنفاق أسفل المسجد بذريعة التنقيب عن هيكلهم مما يهدد بتقويضه.

---

[64] هذه أبرز اعتداءات الاحتلال على المسجد الأقصى، **الجزيرة**، 16 تشرين الأول 2015.

المسجد الإبراهيمي مكان عبادة للمسلمين منذ وصول الإسلام إلى فلسطين، وبعد احتلال الضفة الغربية ومدينة الخليل سعى الصهاينة إلى السيطرة عليه ومنع المسلمين من الصلاة فيه، وتتكرر اعتداءاتهم عليه ومنع رفع الأذان والصلاة فيه وتقسيمه بين المسلمين والصهاينة، ودفع التحريض الصهيوني على المسلمين الإرهابي باروخ جولدشتاين إلى اقتحامه أثناء أداء المسلمين لصلاة الفجر في منتصف شهر رمضان في عام 1994م وأطلق رصاص بندقيته الآلية عليهم فقتل 29 وجرح 150 من المصليّن[65]، وكون القاتل طبيباً يكشف مدى الحقد الذي يعتمل في قلوب الصهاينة على الفلسطينيين، ويستدلّ من روايات الناجين والجرحى على تواطء الجنود الصهاينة المكلّفين بحراسته، الذين غابوا يومها عن أداء مهامهم، وسارعوا بعد المجزرة لإغلاق منافذه، ومنعوا الناجين والجرحى من مغادرته والذين أرادوا الدخول لمساعدتهم، وتضاعف عدد الضحايا نتيجة القمع الوحشي للمشيعين والمتظاهرين المحتجين على المجزرة.

[65] Baruch Goldstein: Legacy of a Massacre**, Jewish Unpacked**, https://jewishunpacked.com/baruch-goldstein-legacy-of-a-massacre/

الفصل الثاني
أكذوبة القضية المركزية

منذ احتلال الصهاينة لفلسطين وتشريد معظم سكّانها العرب نسمع ونقرأ بأن قضية فلسطين بالنسبة للعرب والمسلمين مركزية وبأنها تحظى بالاهتمام الأول على سلم قضايا واهتماماتهم، لكن الواقع يكذّب ذلك مع بعض الاستثناءات، هي شعار براق ومتفائل لكن بعد مرور سبعة عقود بهت بريقه، وتحولت مشاعر التفاؤل المنبعثة منه إلى إحباط وتشاؤم، ماذا فعل العرب والمسلمون من أجل فلسطين في تلك العقود؟ راكموا خسارة المزيد من الأراضي الفلسطينيّة، وتخلى البعض عنهم، واصطف آخرون مع العدو الصهيوني الغاصب، ومن أجل الموضوعية لنعتبر تلك الاستنتاجات المبدئية مجرد فرضية بحاجة إلى أدلة إثبات أو نفي، ولنحتكم إلى الحقائق التاريخية الموضوعية في البرهان على صحتها أو خطئها، والبداية ما قبل إنشاء الكيان المصطنع للصهاينة على أرض فلسطين وحتى الزمن الحاضر.

استيطان الصهاينة لفلسطين ما قبل وعد بلفور

كانت فلسطين إحدى البدائل لقيام دول يهودية صهيونية، ولم يمض وقت طويل حتى أهملت البدائل الأخرى، فلم تبق سوى فلسطين هدفاً لأطماع الحركة الصهيونية. بدأ استيطان الصهاينة لفلسطين في القرن التاسع عشر، على الرغم من رفض السلطات

العثمانية الترخيص الرسمي لذلك، إذ رفض السلطان العثماني عبد الحميد طلب حاييم وايزمان السماح لليهود باستيطان فلسطين المشفوع بمساعدة مالية سخية، وبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد وتعيين أخيه محمد رشاد تساهلت السلطات العثمانية مع هجرة اليهود إلى فلسطين، ونجح عدد غير قليل من أنصار الحركة الصهيونية في التسلل إلى فلسطين، ولم يكن ممكناً إنشاء مستوطنات لهم من دون شراء أراضي من مالكيها الفلسطينيين وغيرهم، ويبدو بأن الاستيطان الجنيني والتدريجي في تلك المرحلة لم يستقطب إنتباه الكثيرين، ولم يدق جرس إنذار في بلاد العرب والمسلمين.

وعد بلفور وحميّة العرب والمسلمين

صدر وعد بلفور في تشرين الثاني من عام 1917م، وتضمنته رسالة من وزير خارجية المملكة المتحدة إلى عضو مجلس اللوردات ليونيل دي روتشيلد، وهو من العائلة المعروفة بثرائها الفاحش ونفوذها القوي في أوروبا، وأكد الوعد على دعم المملكة المتحدة لإنشاء "وطن قومي" لليهود في فلسطين العربية، ومن الواضح أن الوعد يستهين بالعرب والمسلمين وحقوق الفلسطينيين في أرضهم، ولا يعير أي اهتمام لردود فعلهم المحتملة عليه، ومع الأخذ بالاعتبار عنجهية وغطرسة البريطانيين الذين يرون أنفسهم سادة البحار ومستعمراتهم لا تغيب عنها الشمس من المعتاد أن لا يصدر وعد خطير مثل هذا من دون دراسة واستشارات، وعلى الأغلب أنهم

تدارسوا ردود فعل العرب والمسلمين المتوقعة، وهم لم يبقوه سراً بل نشر بعد أسبوع من صدوره.

كانت ردود فعل العرب والمسلمين على وعد بلفور فاترة وغير ذات قيمة وتأثير، في تاريخهم ما قبل الوعد المشؤوم أحداث تبين مدى الارتباط العقائدي والعاطفي للمسلمين بقضايا الدين والوطن وموقفهم من احتلال أراضيهم. لم يكن غالبية العرب ناقصي الغيرة والحميّة حينها، لكن كثيرين منهم غلّبوا مصالحهم الشخصية فضاعت حميّتهم. الأمثلة على وجود الحميّة غير قليلة، ففي الهند ثار الجنود المسلمون في الجيش البريطاني(1857-1859)م بعد سريان خبر أو شائعة بأن المادة التي زوّدهم بها البريطانيون لتزييت بنادقهم مصنوعة من شحم خنازير، وهو موقف بدرجة عالية من التمسك بالدين واتباع تعاليمه ولو تطلب ذلك الثورة على قوة الاحتلال المتفوقة وتحمل التضحيات الجسام، في مصر كانت الثورة العرابية (1879-1882)م نابعة من الحميّة العربية، لكنها لم تصمد أمام القوات البريطانية والمتعاونين معها وأولهم حاكم مصر الخديوي توفيق، أما في الحجاز فعندما صدر الوعد كانت الثورة العربية الكبرى ضد الحكم العثماني وبالتعاون مع الحكومة البريطانية قد مضى عليها أكثر من عام، وحققت للبريطانيين والفرنسيين المستعمرين ما يصبون إليه من إضعاف الإمبراطورية العثمانية مقابل وعود جوفاء خدعوا بها الهاشميين حكام الحجاز، ويسجل للشريف الحسين موقفه الرافض بإصرار التفريط بفلسطين واستيطان اليهود الصهاينة فيها، فكانت أحد أسباب أو ربما السبب الرئيسي في الانحياز التام للبريطانيين لابن سعود وأطماعه في الحكم، لكن لم ينجم عن هذا الرفض أفعال قد تجعل حكومة المملكة المتحدة تعيد النظر في الوعد، لأن وعدها للصهاينة ليس كوعودها

للعرب والمسلمين، فالأول يكتسب صفة تكاد تكون قدسية لما للصهاينة من مكانة عندهم، أما وعودهم للعرب مثل تلك المبرمة مع الحسين الهاشمي والتي بدرت للمصريين ممن هم أهم بكثير من بلفور مثل الملكة فكتوريا وغلادستون وسالسبوري فهي مجرد خدع[66] من ساسة بل وأمة لا تعرف الشرف والقيم، وتكنّ للعرب والمسلمين أحقاداً قديمة لم تمحوها القرون. في السودان اتخذت ثورة محمد بن أحمد المهدي في 1882م طابعاً إسلامياً، وهدفها المرحلي تطهير بلاد السودان من الاحتلال المصري-البريطاني ليكتمل فيما بعد بطرد المحتلّين من بقية بلاد المسلمين وإنشاء حكومات إسلامية، وحقق المهدويون في البدء انتصارات باهرة على القوات البريطانية- المصرية المشتركة وقتلوا قائدها جوردن وقطعوا رأسه، لكن طموحهم لضم بلدان أخرى باءت بالفشل.

في المشرق العربي واجهت القوات البريطانية المهاجمة للعراق في 1917م مقاومة صلبة من القوات العثمانية وبمساندة من القبائل الجنوبية امتثالاً لفتاوى رجال الدين، وأوقعت خسائر كبيرة بالقوات المهاجمة، لكن القوات العثمانية اختارت الانسحاب شمالاً فسقط العراق تحت الاحتلال البريطاني، لكن غيرة وحميّة القبائل العربية لم تهزم فثارت في 1920م ضد الاحتلال البريطاني واضطرت الحكومة البريطانية إلى التخلي عن حكم العراق المباشر واستبداله بالانتداب. إلى الجنوب كانت النظم القبلية في شبه الجزيرة العربية قد اختارت حماية البريطانيين ضد السلطة العثمانية، ووقعت الكويت وقطر والبحرين وغيرهم معاهدات مع

[66] محمد لطفي جمعة، 2017. **حياة الشرق: دوله وشعوبه. وماضيه وحاضره**. وندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ص 249.

البريطانيين تعهدت بها بتفويض سياساتها الخارجية للبريطانيين، وبالتالي فما تقرّه الحكومة البريطانية بما في ذلك وعد بلفور يكون ملزماً لهذه الدويلات.

جاهر عبد العزيز بن سعود بولاءه للبريطانيين لأنهم كما وصفهم أصدقاءه الذين ساعدوه بالسلاح والدعم السياسي والدبلوماسي، واعترفوا بسلطته على نجد والأحساء والقطيف ثم الحجاز، لذلك صرح مراراً باستحالة قتاله للبريطانيين تحت أي ذريعة، بما في ذلك استنتاجاً إنقاذ فلسطين من المخطط البريطاني لإنشاء دولة للصهاينة على أرض العرب والمسلمين، وانتقد مستشاره المصري حافظ وهبة الشريف الحسين لأنه تصرف من دون اعتبار لمقتضيات البراغماتية في رفضه الموافقة على توطين اليهود الأوروبيين في فلسطين[67]، وفي هذا الموقف لم يكن للحميّة العربية ولا الغيرة الإسلامية أي تأثير، بل على النقيض من ذلك.

يركز هذا الفصل على تقييم موضوعي لمدى إلتزام العرب والمسلمين للقضية، ولا استثناء في ذلك حتى للفلسطينيين المفترض أن يكونوا أشد إخلاصاً وتمسكاً بقضيتهم.

هل فلسطين قضية الفلسطينيين المركزية؟

قد يثير هذا التساؤل استياء الكثير من الفلسطينيين وبعض العرب والمسلمين، وللمقاومين المخلصين للقضية منهم كل الحق في ذلك، لكن هنالك من الفلسطينيين من اعترف بالكيان الذي اغتصب أراضيهم، وقتل وشرد آباءهم وأجدادهم، واستولى على

[67] حافظ وهبة، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**. القاهرة: دار الآفاق العربية، ص 55.

أراضيهم ومزارعهم وبيوتهم، وارتضوا بتقاسم وطنهم مع المحتلّين، وتعاونوا معهم في السياسة والاقتصاد والأمن، وقد اتخذ البعض من العرب والمسلمين ذلك ذريعة لتبرير خذلانهم لقضية فلسطين لذلك لا بد من هذا التساؤل الفجّ، وأول ما يثار في هذا الصدد دعوى بيع الفلسطينيين لأرضهم، وما بين بداية الانتداب وإنشاء الكيان الصهيوني عقود من السنين جابه الفلسطينيون فيها الاحتلال الصهيوني لوطنهم بكافة أنواع المقاومة، وهزموا الصهاينة حينما اعتمدوا على الله وأنفسهم والمخلصين، وفشلوا حينما استكانوا لوعود حكومات عربية وحملاتهم العسكرية الفاشلة في معظمها.

بيع الأراضي للصهاينة

تطلب إنشاء بؤر لإسكان الصهاينة المحتلّين (عرفت خطئاً بالمستوطنات أو المستعمرات) شراء أراضي في فلسطين، وتتطابق العديد من المصادر بأن معظمها مملوكة لإقطاعيين من الدول المجاورة لفلسطين، وبالذات لبنان وسورية، ومن هؤلاء آل سرسق وآل تمام وآل التيان وآل الصباغ والجزايرلي وآل شمعة والقوتلي، وتبين بأن تسعين بالمئة من الأراضي الفلسطينيّة المشتراة من قبل الصهاينة حتى عام 1929م عائدة أصلاً لغير الفلسطينيين، وهؤلاء لم يتعرضوا لإجراءات من قبل حكوماتهم ومواطنيهم لردعهم عن التفريط بأرض فلسطين، كما كانوا نّائين عن انتقام الفلسطينيين الغيارى الذين تعاملوا بحزم وشدة مع مواطنيهم الذين باعوا أراضيهم للصهاينة.

بيع العرب والفلسطينيين لأراضيهم إلى الصهاينة مخلّ بقيم الوطنية والشرف ومنافي للتعاليم الدينية وتفريط بالقيم الاجتماعية،

ويعد خيانة عظمى، ولم يكن لهذا البيع سوى أثر محدود على ملكية الصهاينة لأرض فلسطين، ففي زمن الانتداب بلغت نسبة ملكيتهم 5.67% من أرض فلسطين، ولم تتجاوز نسبة ملكيتهم في الأراضي المحتلّة في 1948م 7.23%.

المقاومة المسلحة

لم يكتفي الفلسطينيون بعقد المؤتمرات وتنظيم المسيرات وإصدار البيانات الشاجبة لسياسة الاحتلال البريطاني الرامية لإحلال الصهاينة محل أصحاب الأرض الفلسطينيين، وأدركوا بأن المقاومة السلمية ليست كافية ولا ناجعة في التأثير على حكومة بريطانيا وخضوعها التام للمشروع الصهيوني، فلجأوا للثورات والعمليات الفدائية، وجاءت هذه الحركات المقاومة بمبادرات من جماعات وأفراد حريصين عل وطنهم وكردود فعل على تعسّف الاحتلال البريطاني وتحرشات الصهاينة.

كانت الشرارة التي أشعلت ثورة البراق في 1929م قيام دائرة الأوقاف الإسلامي بترميم حائط البراق الذي يسميه اليهود حائط المبكى، مما أثار حفيظة الصهاينة فخرجوا في مظاهرات تحت شعار ما أسموه ذكرى هدم هيكل سليمان، الذي يزعمون أن أطلاله مدفونة تحت المسجد الأقصى، ولما تجرؤا على تنظيم مظاهرة في القدس ردّ المسلمون بعد صلاة الجمعة في ذكرى مولد الرسول الأعظم بمظاهرة ضخمة استهدفت مراكز الصهاينة، وتلتها في 23 آب 1929م اشباكات عنيفة مع الصهاينة، انتشرت إلى كافة أرجاء فلسطين، فتدخلت القوات البريطانية لفضّها باستعمال الطائرات

والمدافع، وكما هو متوقع تعسّفت سلطة الاحتلال في فرض العقوبات الجماعية على الفلسطينيين.

كانت ثورة القسام نموذجاً رائعاً لنضال الفلسطينيين والمتطوعين العرب ضد الاحتلال البريطاني ومشروعه لتهويد فلسطين، وضحوا بالغالي والنفيس من أجل قضيتهم، ولم يتوقعوا دعماً مالياً من حكومة أو جماعة، ولتوفير الأموال الضرورية لشراء السلاح وديمومة الانتفاضة عمد القائد الشهيد عز الدين القسام لبيع بيته وحلي زوجته، وباع بعض رفاقه أثاث بيوتهم، واستمرت انتفاضتهم حتى داهمتهم دورية بريطانية في 1935م ليستشهد القسام ومن معه[68].

كان من الممكن للمد الثوري الفلسطيني الذي بدأ في 1935م وتصاعد في 1936م أن يكون بداية لخروج الاحتلال ووأد المشروع الصهيوني في فلسطين لولا خذلان الحكومات العربية وضغوطها خدمة للمحتلّ البريطاني، إذ تطور الإضراب العام في 1936م إلى ثورة شملت كافة أرض فلسطين، وهدّدت الاحتلال البريطاني الاستعماري وخطته لتمكين الصهاينة من الاستيلاء على فلسطين العربية المسلمة، فبعد استشهاد القائد عز الدين القسام نشطت حركة مقاومة الاحتلال والصهيونية، وتأسست اللجنة العربية العليا برئاسة محمد أمين الحسيني، وتشكّلت حكومة فلسطينيّة، ووفدت مجموعات فدائية من سوريا والعراق والأردن.

استفز مقاول يهودي العمال الفلسطينيين برفضه تعيين عدد منهم في تشييد ثلاث مدارس لحساب الحكومة في يافا، فرد العمال الفلسطينيون بمنع العمال اليهود من الوصول إلى مكان المشروع،

---

[68] Nicola Perugini and Neve Gordon, 2015.**The Human Right to Dominate**. New York: Oxford University Press, p. 263.

وبعد مقتل صهيوني أقدم الصهاينة على اقتحام منازل فلسطينيين وذبحهم، فهبّ الفلسطينيون للتصدي لإعتداءات الصهاينة، واصطفت قوات الاحتلال البريطاني مع الصهاينة في قمع العرب وقتل العديد منهم باستعمال الطائرات والمدفعية والمدرعات،

تعسّف الاحتلال البريطاني في التعامل مع الفلسطينيين، في محاولة لإرهابهم ودفعهم إلى التخلي عن الإضراب، "فكان يفتش البيوت من دون إذن قانوني وينفذ الغارات الليلية والتوقيف الاحترازي والعقوبات الجماعية والضرب بالعصي والجلد والنفي والاستيلاء على بيوت الثوار الفعليين والمفترضين وهدمها، وتعذيب المتهمين والسجناء، واستعملت القوة الغاشمة في فض المظاهرات مما أدى إلى إصابات كثيرة"[69]، فردّ الثوّار الفلسطينيّون بمهاجمة ثكنات ومواقع القوات البريطانية وتخريب الجسور وسكك الحديد وأنابيب النفط.

اكتفت الحكومات العربية برسائل الدعم والتأييد، بينما سارع اللبناني فوزي القاوقجي وعدد لا يتجاوز المئتين من المتطوعين في آب 1936م لمساعدة الفلسطينيين، وسبق للقوقجي المشاركة في الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي في 1925م وهو ضابط سابق في الجيش العراقي.[70]

جاءت نهاية الإضراب في 1936م بطلب من اللجنة العربية العليا في أيلول إلى بعض الحكومات العربية للتدخل، واستجابة لذلك صدر عن أمير شرق الأردن وملك العراق غازي والملك سعود وإمام اليمن الإلتماس التالي الموجه للفلسطينيين بإنهاء الإضراب:

---

[69] المصدر السابق ص 247.

[70] المصدر السابق، ص 277.

أبناؤنا عرب فلسطين لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاد إلى السّكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتك".

وبعد أيام توقف الإضراب وعلى أثره غادر القاوقجي وقواته فلسطين المحتلّة[71]، ويتأكد من فحوى البيان بأن الحكومة البريطانية التي يصفها الحكام العرب بالصديقة هي من أمرتهم بإصداره، وأخطأ من صدقهم من الفلسطينيين.

سرعان ما تبددت وعود الحكام العرب ومن خلفهم "صديقتهم" بريطانيا فاشتعلت الثورة من جديد في 1937م بقيادة عبد القادر الحسيني، مستهدفة القوات البريطانية في مختلف أرجاء فلسطين وموقعة خسائر كبيرة في صفوفهم، وتصدت القوات البريطانية المحتلّة لها بأشد وأفظع القساوة، فكانت تقضي محاكمها غير الشرعية بالإعدام على كل فلسطينيّ يجدون بحوزته سلاح ولو بندقية صيد أو متفجرات أو أعتدة، بينما صرحت للصهاينة بحمل السلاح وتخزين الأعتدة بذريعة الدفاع عن النفس، وما بين 1937م و1939م شنقت السلطات البريطانية أكثر من 112 فلسطينيّاً في السجن المركزي في عكا بتهمة امتلاك أسلحة، كما فجرت منازل الثوّار والمتهمين بمعاونتهم - وهو إجراء مارسته عصابة الهاجانا الصهيونية وداوم عليه الكيان الصهيوني حتى هذا اليوم، بالإضافة

[71] المصدر السابق، ص 278.

إلى فرض العقاب الجماعي على قرى وأحياء[72]. ولم تهدأ الثورة إلا في نهاية 1938م، وكانت حصيلتها مقتل وإصابة الألاف من البريطانيين والصهاينة واستشهاد الآلاف من الثوّار الفلسطينيين.

الإنقسام بين الفلسطينيين يهدد القضية

لم يكن الفلسطينيون على قلب واحد تجاه قضيتهم على الرغم من أهميتها المصيرية لهم ووضوح هوية أعدائهم، وهذه مشكلة عويصة أضرت بالقضية من قبل وبعد النكبة. مع التسليم بأن التباين بين المدن والريف والولاءات العشائرية سبب في نشأة وتعميق هذه الخلافات حول الزعامة واستراتيجة العمل لكن تقتضي الضرورة ايلاء التوحد في سبيل القضية أولوية مطلقة، تتجاوز كل العوامل المفرقة وأن يكون هناك إجماع على اتباع الأسلوب الوحيد المجدي لتحصيل حقوق الفلسطينيين الكاملة في وطنهم وهو الكفاح المسلح.

كان لانشقاق فخري النشاشيبي وجماعته بالغ الأثر على كفاح الفلسطينيين، إذ ساندوا تقسيم فلسطين بين أصحابها العرب والمحتلّين الصهاينة، وقاد ما عرف بفصائل السلام في أواخر عام 1938م وبالتعاون مع المحتلّين البريطانيين لمقاتلة الثوار.

ادعى الكاتب الصهيوني هليل كوهين بأن بعض الفلسطينيين تعاطفوا مع هجرة اليهود إلى فلسطين وشراءهم لأراض الفلسطينيين لأنها تحقق منافع اقتصادية لسكّان البلاد، ويذكر مثول عدد من الفلسطينين أمام روبرت هوب سيمبسون الذي ابتعثته

---

[72] المصدر السابق، ص 292.

حكومة بريطانيا للنظر في الخلاف حول الأراضي بين العرب والصهاينة في 1930م، حيث ادعت ثلّة من العرب بأن هجرة الصهاينة وشراءهم الأراضي ستنفع السكّان العرب، وهو ادعاء يتطابق مع ما تبثّه المؤسسات الصهيونية، ويتضح هذا التبرير الأناني في شهادة فياض الخضرا (الجرار) أمام هوب سيمبسون[73]:

> لدي 5000 دونم غير مستغلة وعلي ديون، ولو فتحت أبواب الهجرة فمن المؤمل خلال عام أو اثنين ستأتي مجموعات من المهاجرين (اليهود) لشراء 4000 دونم من أرضي، مما سينجيني من الديون ويتيح لي زراعن المتبقي فأكون سعيداً أنا وذريتي.

عبد الفتاح درويش أحد الوجهاء الفلسطينيين المتعاون مع الاحتلال البريطاني، كان مديراً لناحية المليحا المكونة من عدد من القرى، وله صوت مسموع في القدس. اتهمه الثوار المشاركون في ثورة 1936-1939م بالخيانة، وهاجموا في 1938م قصره، لكنه تمكّن من صدّهم، وفي نفس العام أعدم الثوار إبنه الضابط في قوة الشرطة التابعة للاحتلال. كافأه النظام الأردني بـ 'انتخابه' عضواً في البرلمان وبعد وفاته شغل ابنه مقعده[74].

وقفت بعض مكوّنات الشعب الفلسطينيّ على الحياد أو حتى أيدت وساندت المحتلّين البريطانيين والصهاينة. يوثق الباحثان بيروجيني وجوردن موقف الأقلية الدرزية في فلسطين من القضية فيلاحظان بأن الدروز الساكنين في مناطق الجليل والكرمل نأوا بأنفسهم عن الصراع بين الفلسطينيين والصهاينة حتى عام 1936م

---

[73] Hillel Cohen, 2008. **Army of Shadows: Palestinian Collaboration with Zionism 1917-1948.** Berkeley: University of California Press, p. 35.
[74] Hillel Cohen .المصدر السابق

حينما " تكاتف معظمهم مع اليهود"، وادعيا بأن القائد الدرزي سلطان الأطرش كان له صلات بالوكالة اليهودية، مما أثار نقمة الثوار فهاجموا في 1938م بعض القرى الدرزية الرافضة للمشاركة في الثورة، وفي حرب 1948-1949م تعاون معظم الدروز مع اليهود[75].

شارك عدد يقدر بالآلاف من الفلسطينيين في حرب 1948م، وأبلوا بلاءاً حسناً في قتال القوات الصهيونية قبل اضطرارهم لوقف القتال نتيجة خذلان الحكومات العربية المشاركة في الحرب وموافقتهم على مهادنة الصهاينة ومنع الفلسطينيين من مواصلة القتال وتجريدهم من أسلحتهم وتفريقهم، ولم تكن الجبهة الفلسطينيّة المجابهة للصهاينة متحدة، إذ أبرمت بعض القرى اتفاقات مسالمة مع صهاينة في قرى مجاورة، وذلك تحت تأثير زعماء ووجهاء تلك القرى، الذين قاربوا قضية وطنهم من منظور مصالحهم الفردية وطموحهم للزعامة.

اتجه الفلسطينيون إلى الاعتماد على أنفسهم في استعادة حقوقهم في وطنهم السّليب بعد النكبة الثانية في 1967م، إذ أدركوا عجز ووهن وتهاون الحكومات العربية، وتبنوا منهجية الكفاح المسلّح، واستطاعوا على الرغم من تدخلات الحكومات والأحزاب العربية الهادفة إلى استثمار قضيتهم في كسب الأتباع والولاءات من تأسيس منظمة جامعة لهم، أكدت على ضرورة استعادة كافة حقوقهم، ولم تمض ثلاث سنوات على النكبة الثانية التي أضاعت الحكومات العربية في 1967م البقية الباقية من وطنهم بعد التقسيم حتى انبرى النظام الأردني لتصفية فصائلهم المسلحة وإجبارهم

---

75 Nicola Perugini and Neve Gordon, 2015.**The Human Right to Dominate**. New York: Oxford University Press, p. 287.

على الانتقال إلى لبنان، حيث تفجرت في أواسط السبعينات الحرب الأهلية التي كان هدف الجبهة الإنعزالية اليمينية المتعاونة مع الصهاينة القضاء على المنظمات الفلسطينيّة المتواجدة على الأرض اللبنانية متذرعة ببعض التصرفات غير المنضبطة لمسلّحين فلسطينيين، وبالنتيجة تضافرت جهود حكومات عربية متخاذلة وأخرى متواطئة مع المخطط الغربي المنحاز تماماً للصهاينة مع انقسام الفلسطينيين في إفشال تلك المرحلة من نضال الفلسطينيين لاستعادة حقوقهم.

نصّ ميثاق منظمة التحرير الفلسطينيّة على أن الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين هي الكفاح المسلح، لكن قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في سبعينيات القرن الماضي شذّت عن ذلك، إذ أضافت إلى الكفاح المسلح "كافة الوسائل" واستعدادها لإدارة أي جزء يتحرر بأي وسيلة ممكنة.

أنهى اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينيّة والكيان الصهيوني في 1993م الكفاح المسلّح بقيادة المنظمة لاستعادة الحقوق الفلسطينيّة، ومقابل إدارة محلية في الضفة الغربية وقطاع غزّة ووعود بأكثر من ذلك في المستقبل اعترفت المنظمة بالكيان الصهيوني، وهي أشبه بالتنازلات التي استحق عليها أنور السادات صفة الخائن والمستسلم بعد توقيعه معاهدة السلام مع الصهاينة، وأعطى ذلك الاتفاق الذرّيعة للنظم العربية المتخاذلة لتبرير تطبيعها واعترافها بالكيان الصهيوني وإنشاء علاقات سياسية ودبلوماسية واقتصادية معه، ولولاه لما أقبلت العشرات من دول العالم على إقامة علاقات دبلوماسية مع الكيان الغاصب. وفقاً للاتفاق تتولى السلطة الفلسطينيّة مسؤولية ما يعرف بالتنسيق الأمني مع قوات الاحتلال الصهيوني، بما في ذلك منع المقاتلين

الفلسطينيين من شن هجمات على الصهاينة وإلقاء القبض عليهم وزّجهم في سجونها، كما تزود الصهاينة بالمعلومات عنهم ليسهل عليها أسرهم أو تصفيتهم، وهي مهام عادة ما يتولاها عملاء ومخبري الأعداء في الحروب.

بالنقيض من منظمة التحرير الفلسطينيّة حافظت التنظيمات الفلسطينية المسلحة في غزّة التي أجبرت القوات الصهيونية على الانسحاب منها وكذلك تفريعاتها في الضفة الغربية على عقيدتها القتالية من أجل تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، ونفذت عمليات عديدة ضد الصهاينة، وعند اعداد هذا الكتاب كانت قوات حماس قد اقتحمت السياج الأمني الذي شيده الصهاينة والفاصل بين غزّة وأراضي 1948م المحتلّة، وألحقت هزيمة كبرى بالقوات الصهيونية المحتلّة وبلغت عمقاً في الأراضي المحتلّة لم تحققه قوات الجيوش العربية منذ 1948م.

حرب 1948 وخذلان الحكومات العربية لفلسطين

كان الاحتمال بإحراز نصر على الصهاينة في حرب 1948م قوياً لولا خذلان وتراجع القوات العربية فحولوها إلى نكبة ظلت تلقي بظلالها القاتمة على حياة الفلسطينيين والعرب حتى اليوم، وأدت إلى هزائم وانتكاسات وخسائر جسيمة في الأرواح والأراضي والاقتصاد والسياسة على مدى العقود التي تلتها. على الرغم من تفوق العصابات الصهيونية في العدد والعدة فقد استطاعت القوات العربية من إيقاع هزائم بها، وتوغلت في الأراضي الفلسطينيّة من نواحي الغرب حيث القوات المصرية والشرق الذي

تولته القوات الأردنية، وفي الشمال والغرب تقدمت القوات العراقية لإيقاع خسائر موجعة بالصهاينة وتطهير بلدات وقرى عديدة، وأبلى المقاتلون الفلسطينيون في الدفاع عن وطنهم ومعاونة قوات الدول العربية، لكن بوادر الخذلان والخيانة جاءت مبكرة إذ بينما كان الصهاينة المذعورون في حيفا مستعدين للاستسلام للقوات العراقية المتقدمة نحو المدينة أمر القائد البريطاني المعين من ملك الأردن جون جلوب قائد القوات العراقية بالانسحاب واتهمه بمخالفة الأوامر، وفي هذه الأثناء تعالت أصوات الصهاينة في تل أبيب مطالبة بالتوقف عن القتال والتسليم خوفاً من القوات العربية فخطب بهم بن جوريون ناقلاً إليهم وعود الحكومتين البريطانية والأمريكية بفرض الهدنة خلال أيام، وهو ما تحقق بالفعل، ثم جاءت الهدنتان الأولى والثانية وبإذعان من الدول العربية لراعيها البريطاني خلاصاً للقوات الصهيونية من الهزيمة، وأتاح لها التزوّد بالمزيد من الأسلحة والعتاد، فيما أُجبرت القوات العراقية على التراجع عن مواقعها المتقدمة، وسحب جلوب القوات الأردنية من اللد والرملة، وجرد المقاتلين الفلسطينيين من أسلحتهم، ولم يكن مصير القوات المصرية بأفضل من ذلك، وهكذا اكتملت جوانب النكسة الكبرى في تاريخ العرب الحديث بعد الاحتلالات المغولية والتركية والأوروبية.

الخذلان الأردني

كان من المفترض والطبيعي أن يكون الأردن حكومة وشعباً الظهير الأول والأقوى لقضية فلسطين، لكن حكومته خذلتها مراراً

وتكراراً، وقد تكون كلمة الخذلان هنا تخفيفاً غير مقبول لما ألحقته بالقضية من ضرر فادح. منذ إنشاء إمارة شرق الأردن اتخذت حكومتها موقف النفاق والمخادعة من القضية الفلسطينيّة، فهي تعلن بأنها تساند قضية فلسطين إرضاءً لمشاعر الشعب الأردني، وفي الوقت نفسه تنفذ مشيئة الحكومات الغربية المساندة للصهيونية.

كان تعيين عبد الله بن الحسين أميراً على شرق الأردن من قبل البريطانيين مشروطاً، مقابل تلك الإمارة والمساعدة بالمال والقوات تعهد عبد الله وعائلته باستعمال سلطاتهم لحظر أي دعاية مضادة لليهود والاحتلال الفرنسي لسوريا، مما سيمنع من أي قلاقل ضد الصهاينة، وكان من ضمن الاتفاق بين تشرشل وعبد الله وضع أحد أفراد عائلته على العرش العراقي، ومقابل تعهد البريطانيين بمساعدة مالية وعسكرية لم يطلب عبد الله وفقاً لمحاضر الجلسة بينه وبين تشرشل سوى أن تعتبره الحكومة البريطانية "ضابطاً بريطانيا ومنحه الثقة المصاحبة لذلك"[76].

يسجل للشعب الأردني مواقف صادقة في تأييده لقضية فلسطين وتضامنه مع مقاومتها للإحتلالين البريطاني والصهيوني، وتبدى ذلك في مساندتهم العملية لإضراب 1936م، من خلال الإضراب أيضاً والمظاهرات الحاشدة، وقابلتها محاولات حثيثة من الحكومة الأردنية وأجهزتها الأمنية وسلطة الانتداب لقمعها، وسارع أردنيون للإلتحاق بالثوار الفلسطينيين رغم سعي الحكومة لإيقافهم، فمنعت التجمعات السياسية، وهدّدت الناشطين بالحبس والنفي، لكن الحراك الشعبي فشل في تغيير موقف الحكومة الأردنية، وبالتالي لم يكن بالزخم الكافي.

[76] Hillel Cohen, 2008, p.19.

عنما وقعت حرب 1948م وكّلت قيادة الجيوش العربية لعبد الله أمير شرق الأردن، وكان أقل العرب استحقاقاً لها وجدارة بها، فهو المعين من حكومة بريطانياً أميراً على شرق الأردن، وكان قائد جيشه بريطاني وهو جون كلوب باشا، الذي برهنت سيرته على إخلاصه التام لمصالح وطنه الأم وامتثاله لأوامرها، وفي الحرب مع الصهاينة اتخذ عدة قرارات خاطئة كان لها نتائج كارثية على أداء ما عرف بالفيلق العربي، وبعد فشل هذه القوات في قتالها للعصابات الصهيونية قامت بتسهيل مغادرة الفلسطينيين من مدنهم وقراهم، التي سرعان ما احتلها الصهاينة ونهبوا محتوياتها ودمروا معظمها لئلا يعود لها أصحابها الشرعيون، وفي اتفاقية رودس المبرمة في 1949م بين الأردن ومصر والكيان الصهيوني حصل الصهاينة على صك اعتراف مخزي من الأردن وبما اغتصبه من أرض الفلسطينيين سواءً بالقتال أو من دون ذلك في القدس والنقب وإيلات. وبقي جون جلوب قائداً للجيش الأردني حتى بعد النكسة، وأتهم بمساعدة الصهاينة في 1953م بتدمير قرية قبية في الضفة الغربية وإبادة سكّانها، وبسبب فداحة الجريمة واستحالة تبريرها أعفاه الملك الأردني الحسين من وظيفته.

عٌرف أمير شرق الأردن عبد الله بتأييده لمشروع تقسيم فلسطين بين العرب والصهاينة، فوافق طمعه بالشطر العربي من فلسطين المجزأة مع رغبة البريطانيين في وضع الفلسطينيين تحت سلطة ممالئة لهم، ولضمان سيطرته على الشطر الفلسطينيّ بعد تقسيم أرض فلسطين العربية هاجمت القوات الأردنية في تشرين الأول من عام 1948م المقاتلين الموالين للمفتي أمين الحسيني المعارض

للمخطط الأردني وجردتهم من الأسلحة وفرقتهم[77]. بعد انتهاء القتال بين القوات العربية والصهاينة وعلى الرغم من معارضة دول عربية أعلن الأردن ضم الضفة الغربية وتعيين راغب النشاشيبي حاكماً عسكرياً عليها.

كافأت السلطات الأردنية الذين مؤيدي ضم الضفة الغربية إلى الأردن من الفلسطينيين أمثال سليمان الفاروقي ومحمد علي الجعبري بالمناصب الرفيعة في النظام الأردني، وأغدقت على بعض من نبذهم الفلسطينيون الأحرار واتهموهم بالعمالة المناصب الرفيعة والرواتب الجزيلة، ومنهم عبد الفتاح درويش، وانتقم الفلسطينيون من الملك عبد الله باغتياله أمام المسجد الأقصى.

بعد ضم الضفة الغربية لشرق الأردن منعت السلطات الأردنية أي مقاومة للعدو الصهيوني، وعرفت الحكومة الهاشمية بارتباطها الوثيق ببريطانيا والتماهي مع سياساتها في المنطقة، لذلك كانت مشاركتها في حرب 1967م كارثة كبرى على الجزء المتبقي من فلسطين بعد التقسيم، وأدى الأداء الواهي للقوات الأردنية إلى احتلال الصهاينة للضفة الغربية والقدس والمقدسات الإسلامية وتشريد الآلاف من الفلسطينيين من مدنهم وقراهم. تفاقمت معاناة الفلسطينيين تحت الحكم الأردني في أيلول الأسود من عام 1970م عندما شنت القوات الأردنية عملية عسكرية لتصفية الوجود الفلسطينيّ المسلح وإخضاع الفلسطينيين لسياساتها.

اكتمل خذلان الأردن لقضية فلسطين في 26 تشرين الأول 1996م بتوقيعها معاهدة سلام وادي عربة مع الكيان الصهيوني، تخلّت فيها عن حقوق الفلسطينيين، وفشلت في استعادة الضفة الغربية التي

---

[77] المصدر السابق، ص 319.

خسرها الجيش الأردني في 1967م فبدأت أفواج الزوار والسائحين الصهاينة بالتوافد على الأردن ونشأت علاقات اقتصادية بينها وبين الكيان الصهيوني، وقمعت السلطات الأردنية المعارضين لاتفاق السلام والتطبيع، وتاريخ الاتفاق مثير للإهتمام إذ أتى بعد حوالي أربعة شهور من شن الصهاينة عدواناً على لبنان سمته عناقيد الغضب، واقترافها مجزرة قانا التي راح ضحيتها ما يزيد على مئة من الرجال والنساء والأطفال اللبنانيين الذين احتموا بقاعدة لقوات الأمم المتحدة في الجنوب اللبناني.

سوريا تفاوض وتقاوم

انتهجت الحكومات السورية المتعاقبة مواقف متباينة من القضية الفلسطينيّة، انتهت بعد تشبث الصهاينة بهضبة الجولان وضمها إلى سياسة رفض لأي اتفاق مع الصهاينة لا يحقق كافة الشروط السورية ويوفر حلاً عادلاً لقضية فلسطين بما في ذلك الحق في عودة اللاجئين.

لم تبد الحكومة السورية حماساً كبيراً للمشاركة في حرب 1948-1949م المصيرية بالنسبة لقضية فلسطين، كما يستدل من العديد المتواضع لقواتها المرسّلة للجبهة والتي قدرت ما بين 1500 إلى 2500[78]، وسارعت إلى توقيع هدنة مع الكيان المغتصب في 1949م.

شاركت سورية في حرب 1967م التي انتهت باحتلال الصهاينة لمنطقة الجولان السورية، ولم تتمكن من استعادتها في 1973م، ووافقت على التفاوض مع الصهاينة، لكن موقفها تميز عن مصر

[78] المصدر السابق، ص 316.

والأردن في رفضها التوقيع على اتفاقية سلام لا تراعي كافة حقوقها. وتستضيف سورية مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين منحتهم حقوقاً مساوية لمواطنيها في الإقامة والعمل.

سوريا عضو في محور المقاومة، وأسهمت في دعم المقاومة الإسلامية اللبنانية في قتالها للقوات الصهيونية المحتلة وإجبارها على الانسحاب من معظم الأراضي اللبنانية بعد عمليات ومعارك ناجحة.

مصر زعيمة في الحروب والخذلان

لقبت مصر بالشقيق الأكبر للدول العربية، وتوقع منها بقية العرب الوقوف معهم ونصرة قضاياهم في السلم والحرب، وبالمقابل تقبل الكثيرون منهم دورها القيادي، فكان الملك فاروق طامحاً بخلافة العرب والمسلمين فلم يبلغ مناه، لكن جمال عبد الناصر نجح في اجتذاب دول وأحزاب وملايين العرب لزعامته، وكان لمصر دور رئيسي في حروب العرب مع الصهاينة، كما كانت أول من خذل القضية الفلسطينيّة بتوقيعها معاهدة ما عرف بالسلام مع الصهاينة.

كانت مساهمة مصر في القوات العربية في حرب 1948-1949م هي الأكبر، إذ بلغت 10000 مقاتل، لكنها لم تكن لا من حيث العدد والعدة والكفاءة مضاهية للقوات الصهيونية المدرّبة من قبل الجيش البريطاني والمموّلة من دول وشعوب أمريكا وأوروبا، لذلك وبعد نجاحات في قتال الصهاينة فشل الجيش المصري في الحفاظ

على الأراضي الفلسطينيّة المحررة، وتواصلت هزائمه حتى دخل الصهاينة سيناء.

شهدت الفترة الناصرية وحتى حرب 1967م إيلاء القضية الفلسطينيّة أولوية في سياسة مصر الخارجية، وتبنت شعار تحرير فلسطين وتمكين اللاجئين من العودة إلى وطنهم السّليب، وكانت مشاركة الكيان الصهيوني في العدوان الثلاثي على مصر في 1965م دليلاً على تخوفه من السياسة المصرية تجاه قضية فلسطين، وأدت هذه المشاركة إلى ترسيخ العداء للكيان المغتصب.

لم تكن حرب 1967م التي كان لمصر دور رئيسي فيها وبمشاركة جيشي سورية والأردن وقوات من العراق نكسة كما تعرف في أدبيات السياسة العربية بل النكبة الثانية بعد النكبة الأولى التي تسببت في استيلاء الصهاينة على الشطر الغربي من وطن الفلسطينيين العرب، والحرب التي دامت ستة أيام فقط وأسفرت عن هزيمة كبرى للجيوش العربية مكّنت الصهاينة من استكمال سيطرتهم على كامل التراب الفلسطينيّ والجولان السوري وسيناء المصرية، وتبين بأن شعارات تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني التي اعتادت الأنظمة العربية التقدمية واليمينية على تكرارها لا تستند إلى قوة عسكرية قادرة ولا قيادة استراتيجية كفؤة، ونتج عن تلك الهزيمة تغييراً جذرياً في سياسات الدول العربية تجاه القضية، فتخلت تدريجياً عن الادعاء بـ"مركزية" القضية وتحولت نحو محو آثار الهزيمة واستعادة أراضيها المحتلّة والتخلص من عبء القضية، ولكنها ظلت تذر الرماد في الأعين العربية المتقرحة من الهزائم المتوالية بشعارات جوفاء مثل الاءات الثلاث "لا صلح ولا مفوضات ولا استسلام" المنبثقة من قمة الخرطوم في نفس عام النكبة الثانية 1967م.

انتهت زعامة مصر لقضايا العرب بهزيمة 1967م، ودفنت مع رفات جمال عبد الناصر، وقبل أفولها مهّدت لبدأ التخلي عنها باستعداده للتفاوض مع الصهاينة مقابل انسحابها من الأراضي المحتلّة في 67، وموافقتها مع الأردن على مشروع وزير خارجية أمريكا وليم روجرز في 1970م الذي بموجبه تعترف الدولتان بالكيان الصهيوني.

ورّث النظام الناصري الحكم لأنور السادات الذي كان هدفه استعادة سيناء من الاحتلال الصهيوني ولو على حساب حقوق الفلسطينيين في وطنهم المحتلّ، وخلافاً لوصف حرب 1973م بـ "التحريرية" تبين على الواقع بأنها مقدمة لتحريك مفاوضات السلام مع الكيان الصهيوني، وكانت زيارة أنور السادات إلى الكيان الصهيوني بداية الردة العربية عن الكفاح من أجل الحقوق الفلسطينيّة في وطنهم المحتلّ، ومهّدت لمفاوضات بين مصر والكيان اللاشرعي، وركّزت المباحثات المصرية مع الصهاينة برعاية أمريكية على استرجاع السيادة على سيناء مع تعهد غير ملزم بمراعاة حقوق الفلسطينيين، وتمخضت عن اتفاقية كامب ديفيد في 1979م، التي أنهت حالة العداء بين مصر والكيان الصهيوني واعتراف مصر باحتلال الصهاينة لفلسطين، كما منحت الصهاينة التحكم في تواجد وحركة القوات المصرية على أجزاء واسعة من سيناء.

كان قطاع غزّة الفلسطينيّ تحت الإدارة المصرية منذ النكبة الأولى، وتحمل النظام المصري المسؤولية الأخلاقية في الدفاع عنه ضد المطامع الصهيونية واستعادته لو فشلت في حمايته، وعند توقيعها اتفاق ما يسمى بالسلام مع الصهاينة تخلت تماماً عن هذه المسؤولية التي لا تمس حكوماتها بل دولتها أيضاً، وأمعنت الحكومة

المصرية في العهود اللاحقة في فرض الحصار على غزّة بعد نجاح سكّانه في التخلص من نير الاحتلال وبالتوازي مع العدوان المتكرر والحصار الصهيوني المستمر عليه.

لبنان نماذج في الخيانة والمقاومة

أساء إقطاعيون لبنانيون للقضية الفلسطينيّة عند بدأ الاحتلال الصهيوني لفلسطين ببيع مساحات كبيرة امتلكوها في فلسطين للصهاينة، وبلغت المساحات المشتراة من عائلة سرسق اللبنانية الإقطاعية المسيحية ما يزيد على 100000 دونم في الفترة ما بين 1920 و1924م، ولم تكن للبنان مساهمة جديرة بالذكر في إسناد مقاومة الفلسطينيين للتغول الصهيوني في وطنهم، وأدى ضعف القوات السورية واللبنانية في الشمال الفلسطينيّ إلى احتلال الصهاينة لمنطقة الجليل وأكثر من 12 قرية في الجنوب اللبناني[79]. شارك لبنان في حرب 1948م بقوات صغيرة، وكان من نتائجها احتلال الصهاينة لعدد من القرى اللبنانية، ووقعت الحكومة اللبنانية اتفاقية هدنة مع الكيان المحتلّ.

في 1982م اجتاح الصهاينة حدود لبنان الجنوبية حتى بلغوا عاصمته بيروت، واضطرت المنظمات الفلسطينيّة بقيادة ياسر عرفات إلى مغادرة لبنان. شجع الصهاينة المليشيات المسيحية العميلة على ارتكاب مجازر همجية في مخيمات اللاجئين، راح ضحيتها المئات من الرجال والنساء والأطفال. نشأت جبهة مقاومة، استطاعت إجبار القوات الصهيونية على الانسحاب التدريجي حتى

---

[79] المصدر السابق، ص 319.

انتهاء احتلال معظم الأراضي اللبنانية، ويعتبر الصهاينة حزب الله اللبناني مصدر تهديد جدي لكيانهم.

العراق وفقدان بوصلة تحرير فلسطين

عوّل الفلسطينيون وأنصارهم من العرب على دور العراق في تحرير فلسطين، لكنهم وللأسف خاب أملهم، إذ انشغل القادة العراقيون في العهدين الملكي والجمهوري بقضايا مختلفة صرفت اهتمامهم بالفعل عن القضية الفلسطينيّة. يشير الكاتب الصهيوني هليل كوهين إلى توقيع الأمير فيصل بن الحسين الذي توج فيما بعد ملكاً على العراق مع الصهيوني حاييم وايزمان في 1919م اتفاقاً يقضي "بموافقة العرب على قيام كيان صهيوني بين ظهرانيهم"[80]، ويشير نفس المصدر أيضاً إلى إبداء نوري السعيد السياسي العراقي المخضرم الذي شغل منصب رئيس وزراء فيها مرات عديدة في 1938م استعداده لمساندة تقسيم فلسطين بين العرب والصهاينة بشرط اتحاد الشطر العربي منه وإمارة شرق الأردن وكذلك سوريا لو أمكن ذلك مع العراق[81].

شاركت قوات عراقية في حربي 1967م و1973م، وحافظت حكومة العراق بقيادة حزب البعث على موقفها الرافض للسلام مع الصهاينة، وأطلق النظام العراقي على أنور السادات بعد سفره إلى الكيان الصهيوني وبدأ عملية السلام معها لقب "أبي رغال" نسبة إلى العربي الخائن الذي دلّ جيش أبرهة الحبشي على الطريق إلى

---

[80] Hillel Cohen, 2008, p. 16.

[81] المصدر السابق، ص 43.

مكة التي أراد الحبشي هدم بيت الله فيها، في الوقت نفسه كانت القوات العراقية تخوض حرباً شرسة مع جمهورية إيران الإسلامية، دامت ثمان سنوات، تكبد فيها الطرفان خسائر جسيمة، ثم أقدم النظام العراقي على احتلال الكويت، مما استدعى حضور قوات أمريكية ضخمة لطرد القوات العراقية المحتلّة، ونتيجة الحربين والحصار المفروض عليها ضعفت قوة الجيش العراقي الذي فشل في الصمود أمام الغزو الأمريكي في 2003م، وهكذا اضمحلت إحدى قوتين عربيتين، والأخرى هي سوريا، كان الفلسطينيون والعرب بشكل عام يعوّلون عليهما في معادلة القوة مع الكيان الصهيوني ومشاركتها في تحرير وطنهم، كما أدت الحرب إلى مشاغلة إيران التي أعلنت بعد انتصار ثورتها الإسلامية تبنيها الكامل للقضية الفلسطينيّة واعتبار تحرير فلسطين هدفاً استراتيجياً وفرضاً دينياً.

السعودية: الأولى رضا بريطانيا ثم أمريكا

كان السبب الرئيسي لمساندة حاكم نجد عبد العزيز ابن سعود ضد الشريف حسين حاكم الحجاز رفض الأخير الموافقة على القرار البريطاني لإنشاء الكيان اليهودي الصهيوني في فلسطين العربية، وعبّر عن ذلك في خطابه لمعتمده في مصر[82]: "لأن أضحي بالتاج خيراً لي من أن يسجل التاريخ تفريطي في شيء من حقوق العرب أو اعترافي بالوطن القومي لليهود في فلسطين".

---

[82] الخطيب، **صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث**، ص 107.

وكتب المصري حافظ وهبة مستشار عبد العزيز بن سعود ساخراً من موقف الشريف حسين لأنه "لا يرضي بريطانيا، فعلى من يعتمد؟ إنه كان يعتمد على أخيلة لم تحققها الأيام"[83]، وهي السياسة الثابتة التي لا زال آل سعود وغيرهم من حكام الخليج يتبنوها تجاه القضية الفلسطينيّة وقضايا العرب بشكل عام، وهي إرضاء الحامي البريطاني ثم الأمريكي لديمومة حكم عائلاتهم السلالية بالدرجة الأولى، وعبر عنه ابن سعود في حديثه لأمين الريحاني[84]:

> يظن الناس أننا نقبض من الإنكليز مبالغ كبيرة من المال، والحقيقة أن الإنكليز لم يدفعوا لنا إلا اليسير مما تستحقه الأعمال التي قمنا بها أثناء الحرب وبعدها، ونحن لا نختلف معهم قبل أن يخلفوا معنا، بيننا وبينهم عهد نحافظ عليه ولو تضرّرنا في أنفسنا ومصالحنا.. الإنكليز مدينون لنا ونحن لا نطالبهم، من العار أن نطالبهم، أنا ابن سعود صديق الإنجليز.

نصح عبد العزيز بن سعود الثوار الفلسطينيين المنتفضين ضد الاحتلال البريطاني ومشروعهم الصهيوني في عام 1936م بـ "الاعتدال[85]"، ففي برقية خاطب بها الفلسطينيين بواسطة ما سميت اللجنة العربية العليا دعاهم إلى "الإخلاد للسكينة وحقن الدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المخلصة بتحقيق العدالة" فاستجاب الفلسطينيون لهذا الطلب[86].

---

[83] حافظ وهبة، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**، ص 55.

[84] الريحاني، **ملوك العرب** .مصدر سبق ذكره، ص 45.

[85] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 136.

[86] أحمد عبد الغفور عطار، **صقر الجزيرة** .الجزء 6. ،1972، ص 1228-1229.

بتوجيه من عبد العزيز بن سعود اتصل كبيرا مستشاريه جون فيلبي وفؤاد حمزة بزعماء الحركة الصهيونية، وعقدا أول لقاء مع حاييم وايزمن وديفيد بن غوريون في 1939م، وتكرر لقاء فيلبي مع الصهيوني موريس شرتوك وحاييم وايزمن، وأبلغهما فيلبي بإمكانية شراء موقف مؤيد من حاكم السعودية للسياسة البريطانية بشأن الاستيطان الصهيوني مقابل أموال وأسلحة، فلو حصل ابن سعود على 20 مليون جنيه سيكون بتقديره مستعداً لقبول هجرة اليهود إلى الشطر الغربي من فلسطين وترحيل سكانه العرب إلى مناطق سيطرة آل سعود ودول عربية أخرى، واتفقا على أن يقوم وايزمان بمناقشة العرض في أمريكا وتولى فيلبي متابعته مع ابن سعود، ويبدوا أن فيلبي نجح في تسويق الفكرة لعبد العزيز بشرط كتمان الأمر، وفي رسالة لفيلبي إلى وايزمان في عام 1940م أبلغه بموافقة عبد العزيز مع الحرص على عرضها بطريقة لا تغضب بعض العرب، وناقش وايزمان الفكرة مع رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل في 1942م، الذي رجح احتمال نجاحها وإمكانية ضمان تأييد ابن سعود لها مقابل الاعتراف به رئيساً أعلى لدول الشرق الأوسط وبمباركة بريطانية وصهيونية[87].

بيد أن انفضاح الخطة أغضب ابن سعود، لذلك تنصّل منها في لقاءه مع ممثل الرئيس الأمريكي روزفلت، وطرد جون فيلبي من الجزيرة، وفي لقاءه مع البعثة البريطانية-الأمريكية في 1946م ذكّر أعضاءها بخدماته للسياسات البريطانية وجهوده لتهدئة العرب الغاضبين من اعتداءات الصهاينة على عرب فلسطين، واعترف أمامهم بأنه ضلّل العرب ووهّن عزيمتهم على التصدي للاستيطان

[87] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 152-153.

الصهيوني، وسوّق لهم وعود المستعمرين البريطانيين المخادعة، إذ قال[88]:

> أنا الآن في وضع دقيق مع شعبي وجماعتي، مع العرب والمسلمين، وإذا كانت المملكة المتحدة ترغب الآن في التحول عما هو حق واضح، أو ترغب في أن تكون وعودها مجرد كلام لا قيمة له، فلن يبق غير خيار واحد وهو أن أتوجه إلى المسلمين فأقول لهم: "اقتلوني، اعزلوني، فذلك ما أستحقه. لقد أخطأت معكم وأسأت إلى تطلعاتكم.

أما على مستوى الأفعال لا الكلام الذي لا يسمن ولا يغني عن جوع فقد طمأنهم بعدم نيته قتال الصهاينة، لأن ذلك يؤدي إلى قتال البريطانيين وهو من المحرمات الكبرى لديه.

عند إعلان الصهاينة إنشاء دولتهم في فلسطين المحتلة في 1948م امتنع عبد العزيز بن سعود عن إرسال قوات لقتال الصهاينة لأنه كان حريصاً كما أكد بوين على ضمان استمرار حكمه ورضا الحكومة الأمريكية[89]، واكتفى بالدعوة لتقديم العون لهم[90]، لذلك لم يصنف زعماء الصهاينة السعودية في خانة الأعداء، كما شهد ذلك ديفيد بن غوريون في 1949م بقوله: " السعودية لم تكن عدواً فعلياً حتى في السابق[91]"، وبقيت كذلك حتى يومنا هذا، لأن لمصلحة آل سعود واحتفاظهم بالسلطة أولوية مطلقة.

بدلاً من نصرة الفلسطينيين وتوفير مقومات العيش الكريم لمن اضطر منهم لترك بلاده استغلّ حكام المحميات البريطانية في

---

[88] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 173.

[89] Bowen, **The History of Saudi Arabia**, p. 103.

[90] محي الدين القابسي، **المصحف والسيف** .دار الناصر للنشر والتوزيع، ص 22.

[91] ديفيد بن غوريون، **يوميات الحرب 1949-1974**.ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 746.

الخليج العربي محنة الفلسطينيين لإشباع رغباتهم الجنسية الدنيئة كما شهد بذلك محمد الغزالي[92]:

> وقد بلغني أن الفتيات الحسان من اللاجئات الفلسطينيات يبعن بأثمان مغرية لقصور ما يزال أمراؤها يستبيحون الاتجار في الرقيق، ويقبل الآباء والأمهات هذه الصفقات الآثمة تحت وطأة الحاجة إلى القوت، وهم يحسبون أن بناتهم سيجدن على أية حالة ما هو أفضل من حاضرهن الحزين.

أبدت السعودية وغيرها من الدول العربية المرتبطة بالدول الغربية موقفها المتخاذل من قضية فلسطين في اقتناعها بعدم جدوى الحل العسكري واستحالة تحرير كامل الوطن الفلسطينيّ من الاحتلال الصهيوني، وتجسّد ذلك في المشروع التصالحي مع الكيان الصهيوني المقترح من قبل الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز على مؤتمر القمة العربي في 2002م، والذي دعا الكيان الصهيوني إلى الانسحاب من الأراضي المحتلّة في نكبة 1967م لتمكين الفلسطينيين من إنشاء دولتهم المستقلة في الضفة الغربية وغزّة وعاصمتها القدس الشرقية مقابل سلام شامل مع الصهاينة المحتلين وبالتالي تصفية حقوق الفلسطينيين في أراضي نكبة 1948م المحتلّة وعودة اللاجئين منهم إلى منازلهم وأراضيهم المغتصبة، ويمكن اعتبار ذلك المشروع السعودي بداية التطبيع مع الكيان الصهيوني الذي بدأ ولم تنتهي فصوله حتى اليوم.

بعد وصول محمد بن سلمان إلى ولاية العهد في السعودية ظهرت مؤشرات على اقتراب التطبيع بينها والكيان والصهيوني،

---

[92] محمد الغزالي، **الإسلام والاستبداد السياسي**، ص 134.

وبلغت مراحلها شبه النهائية بالسماح للطائرات الصهيونية بعبور الأجواء السعودية وزيارات وفود رسمية صهيونية للمشاركة في مؤتمرات دولية على أرض السعودية، وسبق ذلك تطبيع البحرين والإمارات العربية المتحدة مع الصهاينة، ويصعب تصور حدوث ذلك من دون علم وموافقة السعودية، كما يعتقد بأن الحكومة السعودية شجعت السودان والمغرب على التطبيع مع الصهاينة، وعلى أي حال فلم تتأثر علاقتها المتينة مع هذين النظامين نتيجة التطبيع. في الوقت الحاضر تنشط الحكومة الأمريكية وبصورة حثيثة لإنجاز التطبيع بين السعودية والكيان الصهيوني المحتلّ، وهو مسار يبدو غير قابل للتراجع عنه.

مواقف دول عربية أخرى

اقتصرت مواقف معظم بقية الدول العربية على التعاطف مع قضية فلسطين والتأكيد على نصرتها وتأييدها في اجتماعات الهيئات والمؤتمرات الدولية وقرارات الجامعة العربية، ولم تتعداها إلى العمل والمساندة المادية إلا في بعض الحالات مثل اليمن والجزائر وليبيا، كما يسجل لبعضها توفير فرص العمل والعيش للفلسطينيين اللاجئين.

كانت اليمن في عهد الحكم الإمامي المتوكلي من أفقر الدول العربية، ومع ذلك لم تضن على جهود التصدي للهجمة الصهيونية بالقليل الممكن، فأثناء حرب 1948م أعارت الهيئة الفلسطينيّة التي قادت الدفاع عن القدس ثلاث طائرات لنقل الأسلحة من مصر وسوريا فساعدت في منع سيطرة الصهاينة على القدس، واستمر

الدعم المعنوي للقضية في العهد الجمهوري، واستضافت اليمن القوات الفلسطينيّة المنسحبة من لبنان في 1982م، ومنذ تكوين حكومة أنصار الله وحلفائها في المحافظات الشمالية أعلنت مساندتها الكاملة لجهود تحرير فلسطين من الصهاينة وانتماءها لجبهة المقاومة ومعارضتها للتطبيع مع العدو الصهيوني.

تعترف معظم الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينيّة بوجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المحتلّة في 1948م، ولا تسعى لتغيير هذا الوضع وهو ما يستدل عليه من موافقتها على مبادرة السلام العربية المقدمة من حكومة السعودية، وتتمنى انسحاباً كاملاً أو وفقاً لاتفاق بين الصهاينة والفلسطينيين من الأراضي المحتلّة بعد نكبة 1967م التي تسببت بها الحكومات العربية وإنشاء دولة فلسطينيّة على تلك الأراضي، وهو ما يرفضه الصهاينة الذين يرمون إلى ضم الضفة الغربية ويوسعون بؤر الاحتلال عليها.

حتى وقت قريب كانت مصر والأردن الدولتين العربيتين الوحيدتين اللتين تخلتا عن قضية فلسطين ووقعتا معاهدتي سلام مع الكيان الصهيوني المحتلّ، ومؤخراً انضمت لهما دول عربية لم تشارك في الصراع مع الصهاينة بتوقيعها اتفاقات تطبيع مع الصهاينة المغتصبين وهي البحرين ودولة الإمارات والسودان والمغرب، وتمادت في ذلك بإنشاء علاقات اقتصادية وأمنية وعسكرية، مما يؤكد بأن ما كانت تدعيه مسبقاً بمركزية القضية الفلسطينيّة في سياستها دجل وخداع، ومن غير المستبعد استمرار موجة التطبيع هذه لتشمل معظم النظم العربية السائرة في الفلك الأمريكي والغربي، كما أن لدول أخرى مثل قطر علاقات واتصالات مع الكيان الصهيوني.

الجامعة العربية وإجماع على الخذلان

يروج اعتقاد بأن الجامعة العربية أسست بإيعاز بريطاني إلى حكومات عربية تابعة لها ومذعنة لمشيئتها، لذلك لا عجب في تراوح مواقفها تجاه القضية الفلسطينيّة بين الشعارات الجوفاء والخذلان وحتى الخيانة.

أنشأت الحكومات العربية الجامعة العربية في 1945م، وكان المتوقع منها حشد وتنسيق الجهود للتعامل مع أخطر التحديات التي واجهت حكومات وشعوب أعضائها، لكن الخلافات العميقة بين الحكومات واهتراء تنظيم الجامعة اضعف الموقف العربي من القضية، فأصبحت في نظر العرب مثالاً على العجز العربي، ومنذ إنشاءها شهدت القضية هزائم ونكبات، واُحتلت دول عربية أو أراضي منها، وتجلى فشلها في نجاح المشروع البريطاني الاستعماري الذي سهّل للصهاينة الاستيلاء التدريجي على وطن الفلسطينيين، وأهملت وأخفقت في تحقيق الإجماع العربي والقوة العسكرية اللازمة لدحر العصابات الصهاينة ومنع حدوث النكبة.

انكشف خذلان الجامعة العربية لقضية فلسطين عندما وافقت لجنتها السياسية تلبية لطلب بعثات دبلوماسية مؤيدة للصهاينة على إنهاء الحصار الذي فرضته القوات العربية على مدينة القدس وعشرات الآلاف من الصهاينة الذين كانوا مستعدين للاستسلام في 1948م، كما أنها ترددت في تقديم الدعم المعنوي والمادي لإنشاء حكومة فلسطينيّة على الضفة الغربية، وقبلت بأن يكون مقرها 'المؤقت' في غزّة، ولم يمض وقت طويل حتى توقفت عن دعوة هذه الحكومة المجردة من السلطات إلى اجتماعات الجامعة العربية، وأتاحت المجال لبلوغ الملك الأردني عبد الله أطماعه في الاستيلاء

عليها وضمّها إلى إمارة شرق الأردن، كما خططت له حكومة بريطانيا وارتضى الصهاينة، وكانت معارضة الجامعة العربية لمخطط الضمّ باهتاً وغير فعال، ولا بد من التذكير في هذا الأمر تواطؤ فلسطينيين مع الملك الأردني مثل سليمان التاجي الفاروقي، وتتحمل الحكومات العربية والجامعة العربية المسؤولية عن تفويت الفرصة على الفلسطينيين في إقامة حكومة تامة السلطات على ما تبقى لهم من وطنهم والحفاظ على استمرارية جهود المقاومة والتحرير.

تعقد الجامعة العربية اجتماعات على مستوى وزراء الخارجية والممثلين الدائمين، وتنظم مؤتمرات للحكام العرب، وتتخذ فيها قرارات، وتصدر بيانات، كما أدارت برنامجاً لمقاطعة الصهاينة وداعميها، ووفرت فيما بعد الغطاء لاتفاقات السلام ومعاهدات التطبيع معها. وبالنتيجة لم تفلح في تحرير شبر واحد من فلسطين المحتلّة أو منع احتلال دول عربية أخرى، وهذا الإخفاق الكبير نتيجة حتمية لعدم جدية النظم العربية في العمل على نصرة القضية الفلسطينيّة وتوحيد مواقفها وتكذيب لدعواها بأنها قضيتهم المركزية.

الجماهير العربية حاضرة غائبة

منذ النكبة الأولى في 1948م تعمقت مشاعر قطاعات واسعة من الجماهير العربية تجاه القضية الفلسطينيّة، ونظروا إليها بكونها كارثة كبرى طالتهم جميعاً، منتهكة مقدساتهم وقوميتهم وقيمهم المتوارثة وكرامتهم، لذلك لم يتوانوا في إبداء مواقف التضامن والتأييد للفلسطينيين وقضيتهم، وعبروا عن ذلك بالتظاهر وعقد

الاجتماعات والندوات وإنتاج المواد الثقافية والفنية، لكن هذا التضامن والتأييد لم يرقى إلى مستوى يفرض مواقفاً متقدمة على النظم والحكومات العربية، التي خذلت القضية وتسببت في نكبة ثانية وخيبات إضافية، كما انجرف الكثيرون من العرب وراء الشعارات الحماسية المخادعة أو غير الجادة التي رددتها حكومات وأحزاب ونخب عربية لاستغلال القضية الفلسطينيّة وكسب المناصرين وتبرير احتكار السلطة وتنفيذ الانقلابات العسكرية وشنّ الحروب العبثية والتناحرات الداخلية.

لم يضمحل تعاطف الشعوب العربية مع القضية الفلسطينيّة، لكن لا تأثير له يذكر على سياسات الحكومات العربية، والسادات المصري والملك حسين الأردني لم يستفيا شعبيهما حول معاهدتي السلام المذلّتين مع الصهاينة، ولم يكترثا لوجود معارضة لذلك، فالحكومات العربية أوتوقراطيه ومستبدة وديمقراطية البعض منها شكلية ومداراة لمصلحة النخب الحاكمة، وما جدوى تضامن الشعوب أو قطاعات واسعة منها في المغرب والسودان التي لم تلجم حكوماتها من التطبيع مع الصهاينة والاعتراف بالكيان الصهيوني؟ وأمعن النظامان المستبدان في الإمارات العربية المتحدة والبحرين في الارتباط سياسياً واقتصادياً وأمنياً مطمئنين إلى سيطرتهما التامة على شعبيهما، وكل دولة عربية للقوات الأمريكية قواعد فيها كالعراق والسعودية ودول الخليج خاضعة لإملاءات الحكومة الأمريكية وسياستها تجاه القضية الفلسطينيّة بغض النظر عن مواقفها المعلنة للاستهلاك المحلي، لذلك يمكن الاستنتاج بعدم وجود أي تأثير جدي للرأي العام العربي على سياسات الحكومات العربية تجاه القضية الفلسطينيّة وفي الوقت الذي يتعرض المجتمع العربي لحملات متواصلة لتشويه عقيدته

وقيمه الأصيلة ومحاولات حثيثة لإضعافه بالصراعات الداخلية والنظم الاستبدادية والاحتلال الأجنبي والضغوط الاقتصادية وأيضاً لصرفه عن الاهتمام بقضاياه المصيريّة وعلى رأسها قضية فلسطين.

هل تعوض دول إسلامية عن خذلان العرب لفلسطين؟

تقع المسؤولية الرئيسية في تحرير فلسطين على الدول العربية التي أخفقت في الدفاع عنها، واعترف البعض منها بالكيان الصهيوني وسعى إلى طمس القضية، وهذا الخذلان للقضية ماثل أمام أعين الحكومات والشعوب الإسلامية المطالبة بنصرة حقوق الفلسطينيين، وقد تباينت مواقفها من اعتراف بالكيان الصهيوني يقابله تعاضد لفظي مع القضية إلى تأييد نشط غير مألوف، وتبرز من بين المعترفين بالكيان الصهيوني غير الشرعي تركيا وربيبتها أذربيجان اللّتان تربطهما به علاقات دبلوماسية وسياسية واقتصادية وعسكرية قوية، ومن اللامعقول في سياسة الحزب الحاكم التركي حالياً في تركيا إصداره بعض التصريحات الداعمة لحقوق الفلسطينيين والصهاينة في نفس الوقت.

امتازت إيران عن بقية الدول الإسلامية في موقفها الداعم للحقوق الفلسطينية، ومساندتها للمنظمات الفلسطينية التي تعتمد الكفاح المسلح ودعمها لحزب الله اللبناني في مقاومة الكيان الصهيوني حتى نجاحه في دحر القوات الصهيونية عن معظم الأراضي اللبنانية المحتلّة، وتحملت إيران ثمناً باهظاً لهذا الموقف المنصف، إذ اعتبرها

الكيان الصهيوني عدوه الأكبر والأخطر، وتعرضت للحصار والمقاطعة ومحاولات إسقاط نظامها الإسلامي من الدول الغربية.

يبدو أن أي اتحاد أو تنسيق فعال بين الدول العربية والإسلامية بهدف تحرير فلسطين مجرد أمنية يصعب تحقيقها، والاكتفاء بالتباكي على انتهاكات الصهاينة للمقدسات الإسلامية والمجازر التي تقترفها بحق الفلسطينيين غير مجد ومؤشر على تيه المسلمين والعرب.

الفصل الثالث
فلسطين بين الملتزم والمكثِّر والمقلّ والمفرِّط

قال النبي – صلى الله عليه وسلم -:
(الْمُسْلِم أَخُو الْمُسْلِم لَا يَظْلِمهُ وَلَا يَخْذُلهُ وَلَا يَحْقِره)

(ونحن في زماننا هذا أكثرنا من أكل الدجاج، أكلناه فأكثرنا البقبقة والصياح، فتكالبت علينا الأمم، فأخذنا من الدجاج المذلة وطأطأة الرأس، وعدم التحليق في أعالي السماء والثرثرة والصياح فقط) ابن القيم الجوزية (1292-1349م) **مدارج السالكين**.

كان هناك أمل صغير، هذا ما أخبرني به الطبيب عن طفلي. ذهبت وعدت فلم أجد طفلي ولا الطبيب ولا المستشفى!» من كلام والد أحد الأطفال الذين استُشهدوا في مجزرة «المستشفى المعمداني» في قطاع غزّة في 2023م.

من نافلة القول وجود قضية للفلسطينيين، وتقديم الأدلة على حقوقهم الراسخة في وطنهم السّليب كان للتذكير فقط وليس للبرهان على ذلك، وإنكار ذلك هو تعامي عن الحقيقة التي لا تقبل الجدل، وتبين في الفصل الثاني أن مقولة مركزية القضية الفلسطينيّة في السياسات العربية والإسلامية مجرد شعار تراوح

الالتزام به من مساندة محدودة للمقاومين الفلسطينيين إلى التخلي عنه تماماً في معاهدات السلام والاتفاقات التطبيعية بين عدد من الدول العربية والإسلامية والكيان الصهيوني، فما الذي يترتب على العرب والمسلمين من واجبات ومسؤوليات تجاه هذه القضية، وهي تخصّهم جميعاً ولو أنكر ذلك البعض منهم، وتنكّر لها أو تغاضى عنها وأهملها، لأن فلسطين أرض عربية وسكّانها عرب وغالبيهم العظمى مسلمون.

تنبع المسؤوليات المترتبة على العرب والمسؤولين تجاه قضية فلسطين من مباعث إنسانية وقبلية وقومية وإسلامية، فالفلسطينيون بشر مثلنا وقع عليهم ظلم فادح، لا يتحمله أحد منا، وتفرض الإنسانية على الجميع حتى غير العرب والمسلمين التعاطف معهم، والدعوة إلى إنصافهم وإحقاق العدل في قضيتهم، وغياب ذلك هو إخفاق كبير للإنسانية في العالم، ودليل على فقدان البشر قيم العدالة والمساواة، وبرهان على أن من يحرم الفلسطينيين من حقوقهم الأساسية في الحياة والأمن هو من يفتقر للشروط الأساسية للانتماء للإنسانية، ويحط بنفسه إلى مستوى أدنى منها، وينبغي على بقية البشر البراءة منه ونبذه، وهذا الحكم ينطبق على معظم حكومات العالم التي لا تبالي بعذاب الفلسطينيين، كما أن الحكومات العربية والإسلامية منقسمة بين متضامنين بالقول ومصطفين مع من يحرم الفلسطينيين من حقوقهم الإنسانية.

لا يزال العرب قبليون، وكثير منهم يهتمون بإبراز أصولهم وانتماءاتهم القبيلة، ويذهب البعض منهم إلى أكثر من ذلك بتطبيق القيم والأعراف القبلية، ومن أهم هذه الأعراف العصبية للقبيلة والنخوة ونصرة أفرادها والشجاعة والثأر ممن يعتدي عليها، وكما بقية العرب يعتز الفلسطينيون بقبائلهم، ولهذه القبائل امتدادات

في دول عربية عديدة، فالتميمي في فلسطين مثل التميميين في العراق والسعودية وقطر وغيرها قبيلة واحدة وإن اختلفت مواطنهم وديارهم، وللتميمي الفلسطينيّ حقوق على كل من ينتمي لقبيلته، وخذلانه عار عليهم، وفي الواقع لا نجد دليلاً على هذه العصبية والنصرة.

الفلسطينيون والعرب مشتركون في نفس القومية، وبينما نجد أن الصهيوني يستنجد بالصهاينة في كل مكان بادعاء انتماءهم لنفس القومية وهو ادعاء غير مثبت يتخلى العرب عن الفلسطينيين شركائهم في القومية الواحدة، لكنهم في الوقت نفسه أو الكثيرون منهم على الأقل يرفعون الشعارات القومية، ويتفاخرون بتاريخهم، ويؤكدون على انتماءاتهم القومية في دساتيرهم وعقائد أحزابهم، لكنهم عندما يستصرخ بهم الفلسطينيون يكتفون ببيانات الدعم والتباكي والمسيرات غير المجدية.

فلسطين قضية المسلمين أجمعين وليس العرب فقط، لأن الغالبية العظمى من شعبها مسلمون، وفيها بيوتهم ومزارعهم ومصالحهم، والمسجد الأقصى في القدس هو قبلة المسلمين الأولى وثالث الأماكن المقدسة لدى المسلمين كافة، وتفرض العقيدة الإسلامية على المسلم نصرة أخيه المسلم وقتال المعتدين عليه، وإخراجهم من ديار المسلمين المحتلّة، وخذلان المسلم المعتدى عليه خطيئة كبرى، يتحملها جميع المسلمين إلا المستضعفين من الرجال والنساء.

منذ ما قبل النكبة الأولى في 1948م انبرى علماء المسلمين إلى إصدار الفتاوى التي تبين واجبات المسلمين تجاه قضية فلسطين

والفلسطينيين، وحتى زمن قريب كانت كلها تنصّ على وجوب نصرة القضية باستعمال كافة الوسائل وفي مقدمتها القتال حتى إخراج الصهاينة المحتلّين من كافة أرض فلسطين وإعادة اللاجئين إلى ديارهم، واستجاب لها جمع من المسلمين الذين تطوعوا في أفواج المجاهدين وتسلّحوا وشدّوا الرحال لنصرة أخوانهم الفلسطينيين وعلى امتداد الصراع ما بين المسلمين والعدو الصهيوني، وعلى الرغم من قلة عديدهم ونزرة سلاحهم مقارنة بالصهاينة وتوهين الحكومات العربية والإسلامية لهم حققوا انتصارات وحموا سكّان مدن وبلدات قبل اضطرارهم إلى ترك سوح المعارك، أما الدول العربية والإسلامية التي تنصّ دساتيرها على أن المصدر الأول لقوانينها وسياساتها هي الشريعة الإسلامية فقدمت القليل من أجل القضية وتخلى البعض عنها، كما أن بعض الفتاوى التي صدرت بعد معاهدات الصلح واتفاقات التطبيع مع الصهاينة المغتصبين شرّعت لحكام الدول المستسلمة والمطبعة إبرام هذه المعاهدات والاتفاقيات، سواءً كانت دائمية أم مؤقتة، فيما حرمها آخرون، لذلك فإن الاستشهاد بها ليس مجدياً ولا بد من البحث عن أساس شرعي مختلف للحكم على مواقف الدول العربية والإسلامية من قضية فلسطين المحقة.

المؤازرة أم الدفع أم التفريط

لا يتطلب الحكم على المواقف المتباينة من القضية سوى الرجوع إلى القرآن الكريم وبالتحديد آية واحدة من سورة آل عمران:

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ(167)

تصف الآية الكريمة موقف الذين نكصوا عن القتال في موقعة أحد، فبينما كان المسلمون في طريقهم للقاء المشركين فاجأهم البعض بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول المعروف بنفاقه بمغادرة جيش المسلمين والتوجه عائدين إلى المدينة، فلحقهم عبد الله بن عمرو بن حرام ليقنعهم بالعودة إلى صفوف جيش المسلمين فأبى رئيسهم، مبرراً خذلانه المتعمد للرسول والمسلمين بعدم توقعه لحدوث قتال فطالبه عبد الله بأقل من ذلك وهو "الدفع" أي الوقوف في صف جيش المسلمين لتكثير عددهم من أجل بث الرهبة في نفوس المشركين وإضعاف معنوياتهم، لكن ابن أبي سلول رفض ذلك أيضاً، فنزلت الآية القرآنية التي تصفهم بالمنافقين الأقرب إلى الكفر من الإيمان.

منذ ما قبل إنشاء الكيان الصهيوني الغاصب تشكّلت جبهتان، الأولى من الفلسطينيين والعرب والمسلمين تدعو إلى إخراج الصهاينة المحتلّين وإعادة فلسطين إلى أصحابها والثانية هي جبهة الصهاينة ومعاونيهم من الدول الغربية، ونشبت حروب واسعة ومحدودة بين الجبهتين، شارك فيها بعض من جبهة استعادة فلسطين من العرب ومعظم جبهة الصهاينة وداعميهم، تخلّلتها فترات طويلة من الهدوء النسبي، وبقي الاحتلال الصهيوني لأن

الجبهة المعادية له والمستندة إلى شرعيات قانونية وتاريخية وأخلاقية ودينية لم تبذل كل استطاعتها لنصرة القضية، فأضاعت المزيد من أرض فلسطين وجعلت من استعادتها بالكامل هدفاً صعباً وإن ليس مستحيلاً.

وفقاً لتصنيف الآية القرآنية يتوزع العرب والمسلمون بين ثلاث فئات: الفئة المخلصة للقضية، والمكثرين، والمقلّين، كما توجد فئة رابعة يستدلّ على وجودها أيضاً وهم المفرطّون أو خونة القضية، وكل حكومة أو فرد من العرب والمسلمين يؤمن إيماناً مطلقاً بالقضية وضرورة استعادة الوطن المغتصب والمقدسات هو من المخلصين بالفعل والعمل، وهم في الوقت الحاضر وللأسف أقلية، تكاد تقتصر على المقاومين الفلسطينيين فقط، أما الفئة الثانية فقد اكتفت بالوقوف في صف المدافعين عن فلسطين وشعبها، إذ تتضامن مع القضية وتدعوا إلى إنصاف أصحابها، لكنها ليست مستعدة لبذل ما تستطيع من أجل ذلك، وتضم الفئة الثالثة المتخاذلين الذين ينأون بأنفسهم عن القضية، فليست لها مكان بين أولوياتهم، لكنهم في الوقت نفسه لا يؤيدون الصهاينة ولا يعترفون بكيانهم غير الشرعي، وقد يتحالفون أو يرضخون للدول الأجنبية التي تدافع عن الصهاينة، ويحتمون بها، ولا تكتفي الفئة الرابعة بالتخلي عن القضية بل اعترفت بكيان العدو وصادقته، وأقامت معه علاقات سياسية ودبلوماسية، وغمطت حقوق الفلسطينيين في وطنهم وإن دعوا إلى إسكاتهم بالتفضل عليهم بفتات دولة أو حكم ذاتي، وكل من ارتضى للفلسطينيين بأقل من استعادة وطنهم هو مفرّط بالقضية، وهؤلاء انتقلوا من جبهة المناصرين إلى خندق الأعداء.

واحدة فقط من بين أربع فئات لها مواقف من قضية فلسطين تخلص لها ولكنهم كما أسلفنا قلة قليلة، لم تحقق سوى بعض النجاح في تصديها للاحتلال الصهيوني، أما الفئات الثلاثة الأخرى فهي ما بين متفرّجة وخاذلة ومفرّطة خائنة، فكيف التعامل معها؟ يكاد يقتصر المخلصين للقضية على الفلسطينيين، والبعض منهم لا جميعهم، إذ إن البقية موزعون بين الفئات الثلاثة الأخرى. ويتطلب التزام المخلصين بالقضية والثبات على ذلك مقومات ومقوّيات من العقيدة والعدد ووسائل القوة والمنعة، وهذه متوفرة بالحد الأدنى، لذا فالواجب على من يرى نفسه من المخلصين أو نصيراً لهم إمدادهم بشرياً ومعنوياً ومادياً، وهو واجب إنساني وديني وأخلاقي، ومن كمال العقيدة نصرة المظلومين، بل هي من أركانها الكبرى، لأن خذلانهم توهيناً للجميع وتقوية للأعداء وإغرائهم بالمزيد من العدوان على العقيدة نفسها، وهي من مقومات البقاء للجماعة، ويشهد التاريخ بأن أقواماً أخرى أوصلوها إلى شفير الانقراض من خلال إضعاف عقائدهم وقيمهم، فتفككت عرى مجتمعاتهم، وغدوا أهدافا سهلة للغرباء.

لولا كثرة المقلّين والخاذلين لما كان المكثّرون مقبولين بالحد الأدنى، وهم في غفلة من عظم الخطر الذي تمثله الصهيونية ورعاتها الغربيون على العرب والمسلمين، والمطلوب منهم موقفاً اشد التزاماً وصلابة في مساندة القضية، وإذا اختاروا القعود فعليهم بذل المال لتقوية المخلصين الذابّين عن القضية، وقد ينفع النصح فيهم فيتحولون إلى ملتزمين.

نأى المقلّون من العرب والمسلمين بأنفسهم عن القضية، وكأنها لا تعنيهم من قريب أو بعيد، واختاروا التفرّج على الصراع، ولسان حالهم كما يصرح البعض منهم: فلسطين قضية الفلسطينيين فما

لنا ولها ولهم! فما المتبقي من الذي يجمعهم مع العرب والمسلمين؟ فهم خارج جسم الأمة التي لو اشتكى عضو منها تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى، ونشاهدهم اليوم يقيمون المهرجانات في الوقت الذي يقتل الصهاينة رجال ونساء وأطفال فلسطين يومياً، والواجب نصحهم فإن لم يعودوا إلى صف العرب والمسلمين ينبغي فضحهم وبيان انخزالهم عن الأمة، الذي يضعهم في خانة المنافقين الأقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان.

الأدهى والأمر هم المفرّطون الخائنون الذين اختاروا بإرادة أو تحت ضغوط رعاة الصهيونية مسالمة الصهاينة المغتصبين والاعتراف بكيانهم غير الشرعي، وأقاموا معهم العلاقات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية، وأباحوا الزيارات المتبادلة معهم، فتقوّى بهم الصهاينة، وأضعفوا القضية وأصحابها، وهم بذلك انتقلوا من صف العرب والمسلمين إلى خندق الصهاينة، وان أنكروا ذلك، وابتدعوا له كل المبررات الزائفة، فنقضوا كل المواثيق مع الله ورسوله، وأبطلوا كافة عرى التآخي والمودة والتضامن مع بقية العرب والمسلمين، وهو حال مصر والأردن والبحرين والإمارات العربية المتحدة والمغرب والسودان وتركيا وأذربيجان والسلطة الفلسطينيّة والعديد من الأحزاب والمنظمات، وشجعوا دولاً غير عربية وغير مسلمة على الاعتراف بالكيان الغاصب، لأنهم ببساطة لن يكونوا أشد إنكاراً للكيان من كل هؤلاء العرب والمسلمين، ومن المتوقع انضمام السعودية ودول خليجية أخرى للتطبيع مع الصهاينة مما سيفتح باب الاعتراف بالكيان واسعاً أمام حكومات منافقة أو محايدة للاقتداء بهم، كما أن الدول التي ترضى بوجود

قواعد في أراضيها لقوات دول أخرى مؤيدة ومساندة للصهيونية هي حكماً مفرّطة بالقضية.

إن تغيير الحكومات المتخاذلة والخائنة سياساتها تجاه القضية وإلغاء اتفاقياتها مع الصهاينة أمر مستبعد جداً إلا لو حلّت محلها حكومات مخلصة للقضية، والواجب على المخلصين للقضية من حكومات وتنظيمات وأفراد تخفيض العلاقات معها إلى الحد الأدنى، وهذا ينطبق على الحكومات وكذلك أتباعها الراضين عن سياستها، والأجدى من ذلك مقاطعتها، فقبل شراء بضاعة أتأكد من مصدرها فلو تبين بأنها منتجة في إحدى هذه الدول مثل تركيا أو رعاة الصهاينة الغربيين وفي مقدمتهم أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا فسأمتنع عن شرائها وأبحث عن بدائل، والوظيفة أو العمل ولو بأجر قليل في دولة ملتزمة مثل الجزائر أولى شرعاً وأخلاقياً من وظيفة أو عمل في الإمارات العربية المتحدة، وكيف أجيز لنفسي مصادقة من يعترف بالصهاينة وكيانهم الغاصب أو يقبل بوجود قوات أجنبية لدول راعية للصهيونية؟ كما لا تشرّف المخلص لقضية أمته مصاهرتهم كذلك، وإذا كانت المصادقة والرفقة مرفوضة والمصاهرة مكروهة مع هؤلاء فالمقاطعة في التجارة وعالم الأعمال واجبة، فهل ندرت المطاعم لأقبل على تناول طعامي في مطعم أمريكي المنشأ فينتفع أمريكيون من ثمنه؟ وهل لم تبقى متاجر للملابس سوى متجر يتبرع صاحبه الأوروبي للصهاينة؟ ليدركوا وإن كانوا كثرة بأنهم منبوذون لخيانتهم القضية التي تقضي كافة القيم الدينية والإنسانية والأخلاقية نصرتها بكافة الإمكانات البشرية والمادية.